حكاية
طَموح

ألحان فرحات

حكاية طَموح

رواية

سائر المشرق

© دار سـائر المشـرق للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى 2014

جديدة المتن - نهر الموت
سنتر بايلايان - الطابق السابع
هاتف وفاكس: 900624/01
info@entire-east.com
www.entire-east.com

تدقيق: روبير نسطه
رسم الغلاف والرسومات الداخلية: كارول غطاس الحاج
إخراج: جوني كارليتش

ISBN 978-9953-569-75-8

هذه الرواية مهداة إلى أصحاب النفوس الحرّة حول العالم...

شكر وتقدير

أخط حروفي بكل آمانةٍ فأتوجه بالشكر لكل من ساهم معي وساعدني بإتمام هذه الرواية ونشرها.

أشكر أهلي وأصدقائي في غربتي اللذين أبدوا إهتمامًا بكتاباتي يوم كانت مجرد حروف قليلة قبل أن تصبح رواية، والتي أنهيت كتابتها خلال مدة لم تتعدى الثلاثين يوما.

أما الشكر الكبير فهو لدار سائر المشرق وعلى رأسها الإعلامي والصحافي الوطني الأستاذ أنطوان سعد، الذي آمن برواية «حكاية طَموح» يوم خاف من مضمونها الكثيرين والذي يقف داعمًا للمواهب الشابة متناسيًا الأرباح المادية في رحلة بحثه عن الحروف الوطنية.

ختامًا أتوجه بالتقدير والإحترام لكلّ من قرأ وسيقرأ رواية «حكاية طَموح»، وآمن برسالتها الإنسانية والوطنية، وساهم بنشر رسالتها التي تعبق بالحرية والديمقراطية.

ألحان وليد فرحات

توطئة

رواية «حكاية طَموح» رواية وليدة عالم الخيال تحاكي واقع وطن عاثت فيه التبعية والرجعية فسادًا في النفوس. هذه الرواية يمكن للقارئ أن يتخيلها على مساحة أيّة بقعة جغرافية في أمتنا العربية. فلا أسماءَ حقيقية لكنّ أسماء الشخصيات تتجسّد في الصفات التي يمكن لأيّ إنسان منا حملها، مثلًا: «طَموح»، «شجاع»، «حرية»، «قاسي»، «حنونة»، «متعصّب»، «مثقف»، وغيرها من الصفات التي تجسّدت في الأسماء.

رواية «حكاية طَموح» حكاية مواطن ثار على نفسه ليغيّر ما في داخله، فبطل الرواية يرفض التبعية العمياء، قاوم فكرة الطائفية والمذهبية وحمل مشعل الحرية والديمقراطية. هي رواية تزرع الطَموح في نفوس القرّاء، وتبرز أهمية الدفاع عن الحريات، فالنضال للحرية هو في حد ذاته نضال حياة حتّى لو

كانت نتيجته الموت. والموت في سبيل تحقيق القناعات هو الطريق نحو الخلود في عقول الأحبّاء وذاكرة الوطن. هذه الرواية تتضمن فصلًا في الحب فتحمل في بعض كلماتها عشقًا وغرامًا ما يضفي على الرواية جمالية فيكسر من حدّتها.

رواية «حكاية طَموح» رواية تثقيفية، ويمكن القول إنّها رواية بروح فلسفية، سياسية واجتماعية. فيها خواطر أدبية، يتلذذ القارىء بما تحمله في كلماتها من عمق مضامين إذ تخطّ رسائلَ في الوطنية والحرية. مواطِنُها اختار أن يكون مثالاً في الوطنية وصدق الانتماء فحملت أحداثها رسالة حياة. وقد يظنّ القارئ أنّ هناك صعوبة في عيش حياة مشابهة واستحالة في تطبيق هذه المفاهيم، إلا أنها ولا شك تضيء ظلمات الحياة الاجتماعية القاتمة لتنير درب الحرية في عقول المواطنين فيقرؤون في سطورها أفكار ما يؤمنون به، في حين يصعب عليهم كثيرًا البوح بها في عالمهم الحقيقي.

في زمن الديمقراطيات المصطنعة...
في زمن الانقسامات بين تيارات ومذهبيات...
في زمن التبعية والرجعية ومطاردة الحرية...
في زمن النفوس المهزومة المحرومة من الأمل...
في زمن قتل وحدة الشعب وبثّ الرعب...
في زمن رعب التعصّب، رعب الانغلاق والانقسام وذبح الأحلام في أسرّة الظلام...
في زمن الفوضى والتضحية بالقوانين، وتغييب الدولة لا غيابها...
في زمن مشابه... كان لا بدّ من طَموح.

طَموح حرّ بل طَموح شريف ووطني، يتخطّى الأحلام لتصبح حقيقة، حقيقة تحرّر النفوس من العبودية السياسية والرجعية العائلية والتبعية، ما يؤدي إلى دولة مستقرة قوية ووطن جامع تسبح بين أطيافه الحرية العقائدية الدينية والفكرية...
فكانت «حكاية طَموح»...

«طَموح» هو الإنسان الذي يستحق عن جدارة لقب المواطن.
هو الطفل الذي يبحث دومًا عن استفسارات وإجابات فيسأل عن محيطه ويدرسه ليفهمه.
هو الشاب الثائر المتحرّر الباحث في طيات دفاتر الكتب عن الثقافة والمعرفة، فأوجدت لديه قناعات هو صانعها وليس وارثها.
رسم لنفسه الدرب وبحث في العقول والقلوب عن الرفيق والصديق.
هو الرجل السياسي الوطني المؤمن بمنطق الدولة والمؤسسات وليس بمنطق العصبيات والمرجعيات.
هو صاحب الفكر المنفتح المتقبل للآخر، مهما اختلف عنه هذا الآخر، بالعقيدة أو الدين أو الثقافة.
هو المواطن الحضاري الذي يعتمد النقاش والحوار وسيلة، صاحب الروح الأصيلة. فثقافته ثقافة مشاركة، ثقافة محبة ومساواة، ثقافة وطنية بامتياز. يعشق الحرية ويناضل لأجلها، فهي في نظره، وفي شتى مجالاتها، مبرّر لحياة الانسان، وبانتفائها لا معنى للحياة.

«طَموح» ثار على نفسه قبل أن يثور على الآخرين. واجه عيوبه وأفرغها من جيوبه. إنتقد مرآته فصحّح أسلوبه ومساره. وتخطّى المجتمع الصغير إلى الوطن الكبير. آمن بالفرد كإنسان لا يحدّه مكان أو يقيّده زمان. فكانت الحرية مسعاه.

كان نهار الأحد من العطلة الأسبوعية وقد استيقظ «طَموح» على صوت والده «قاسي» مخاطبًا إيّاه:

- يا «طَموح»، أصحُ يا بنّي! سنتأخر عن الموعد.

فسأل «طَموح» نفسه: «عن أيّ موعد يتحدّث والدي؟ لم يعلمني أنّنا سنزور أحدًا.»

لكنّ شغفه بوالده واحترامه له جعلاه ينهض من سريره الدافئ ليلبي نداءه. إرتدى ثيابه، ورافقه إلى السيارة وانطلقا. كان «طَموح» آنذاك قد قارب العاشرة من عمره.

في الطريق اصطحبا عمّه من منزله وابنه «شجاع»، وهو زميله على مقاعد الدراسة، وصديقه المقرّب فجلس إلى جانبه على المقعد الخلفي.

بعد مسافة صغيرة اقترب «طَموح» من «شجاع» وهمس في أذنه:

- أتعلم إلى أين نحن ذاهبون؟ ومن سنزور؟ أتعرف لمَ والدي كثير الاهتمام بهذه الزيارة ويخاف أن نتأخّر، فلمن كلّ هذا الاهتمام؟

أجابه «شجاع»:

- لا أعلم، لكنّ والدي قال لي يجب أن يكون عددنا كبيرًا اليوم في القصر.

- وأيّ قصر يقصد والدك؟

- لا أعلم يا ابن عميّ.

وبعد ساعة من المسير كان الولدان يعبّان من جمال تلك المنطقة ويمتّعان النظر بما أبدعته الطبيعة في حرفة جمالها، فالأشجار علت رؤوسها تتمايل بغنج مع نسمات صباحية منعشة. وكاد الصبيان أن ينسيا للحظة سبب ذهابهما لكن سرعان ما قاطع والد «طَموح» شرود أفكارهما قائلًا:

- الحمدلله! وصلنا في الوقت المناسب. إنّ مَنْ نقصده ما زال في القصر، والناس ما زالوا يدخلونه ليقابلوه.

ودبّت الحماسة في صوت العم:

- هيا يا شباب! اليوم ستتعرفون إلى الزعيم.

نظر الطفلان بعضهما إلى بعض مستغربَين متعجبَين غير مدركين ما يحصل معهما. من، كيف... من هو الزعيم، ماذا نريد منه وماذا يريد منّا؟ لماذا نلقاه ونتعرّف إليه؟ أسئلة تسارعت وتيرتها وصارت تخطر لبال «طَموح»، غير أنّه لم يقـوَ على طرحها على والده ففضّل السكوت، واللحاق به أينما ذهب. دخلوا معًا باحة القصر ووقفوا وسط الجموع. وقد ذهل الصبي وسرّ لما رآه فالمكان يعج بالناس

والمكان لوحة تمازجت فيها الألون وخيّل للصبي المفتون أنّه لو ساد الصمت قليلًا لخرج الحجر ناطقًا بأسراره، وحاول الوالد إبقاء الصبيين على مقربة منه مخافة أن يضيعا بين الجموع:

- لا تبتعدا عنّا فقد تتوهان في أرجاء القصر فالمكان يغصّ بالزائرين. إبقيا إلى جانبي!

وخفض حدّة كلامه وتبدّلت نبرة صوته كمن يحاول تجنّب لفت الأنظار إليه، مؤكدًا أنّ الفرصة متاحة لهم للقاء الزعيم وإن شاء الله سيصافحونه اليوم لينالوا رضاه.

وازدادت الدهشة على محيّا «طَموح» ونظر إلى عيني والده مستغربًا، لكنّه هذه المرة لم يستطع لجم جماح أسئلته كأنه ما عاد يصبر على السكوت وقد صارت الكلمات أشبه بسنان حراب تغزّ في حنجرته:

- من هو هذا الزعيم يا أبي، لم تخفض الصوت حينما تأتي على ذكر اسمه؟ أمره عجيب هذا الزعيم فكيف له كلّ هذا المال ليشيّد قصره الكبير، ألا تدهشك يا أبي رؤية ما ضمّه من دارات وصالات؟ ما أشد اختلافنا عنه وأمثالنا ببيوتنا الصغيرة! أبي، لمَ نُقدمُ نحن على زيارته في عطلة الأسبوع ألا يمكن أن يبادر هو إلى زيارتنا؟

وشدّ الوالد «قاسي» على يد ابنه وانحنى نحوه وقال له بصوت تملّكه القلق والغضب:

- لا تتحدّث هكذا. لا زلت فتيًّا ولا تعلم شيئًا! فقط صافح الزعيم

وقل له: «حماك الله وأطال بعمرك.» لا ضرورة لكل هذه الأسئلة وإياك أن تخطئ في ما أطلبه.

أصابت خيبة الأمل «طَموح» وقد تعجّب لردّة فعل والده، وكاد دمعه يسيل من مقلتيه. لكنّه ما أراد أن يغضبه فقد رآه متحمّسًا شديد التطلّع للقاء الزعيم، فلماذا سيقدم على ما يحزنه؟ كَفَّ عن الأسئلة غير أنّ غصّة الاستغراب والتعجّب لم تفارقه.

دنتِ الساعة، وبعد طول انتظار، وقف حاجب شاب على إحدى الدرجات الجانبية، وصرخ قائلًا:

- قد أنهى الزعيم الآن فطوره وارتشف قهوته وهو في انتظاركم.

عَلَتِ الصيحات والهتافات المؤيدة كأن أحدهم أطلق سراح الألسنة وفُكَّ قيْدُ أسرها. وللمرّة الأولى، خاطبت مسامع «طَموح» عبارات فيها الكثير من الحماسة وفاجأته هتافات ما حسب نفسه يومًا قادرًا على سماعها. أخذ الناس يصعدون الدرج، وتوجّه الولد وسط الجموع يرافقه ابن عمّه وكل من حوله يتدافعون ويتهامسون: «أطال الله بعمره، والله لنفديه بأرواحنا...»

وشعر «طَموح» كأنّه يعيش في كوكب آخر أو عالم جديد فكان شديد الحيرة يمشي غريبًا في لجج الوافدين، وهو حتمًا لم يعِ شيئًا ممّا يسمعه.

وصل الجميع إلى البهو الكبير حيث التفّوا حول مَنْ شخَصَتِ الأبصار إليه وانتظروا أن يحدّثهم. أدرك «طَموح» أن ذلك الشخص المنشود هو «الزعيم»، إذ ازداد اهتمام الجموع به.

جلس ذاك الزعيم على كرسي خشبي متطاول نحو السقف فكان أشبه بعرش ملك يستعرض جبروته أمام حاشية بلاطه، لم يكن لينظر إليهم، إنّما اكتفى بالاستماع من عُلْو مكانه هازّا بين الفينة والأخرى رأسه. والى جانبه كاتب شابهه تصرّفًا وإن على عتبة أدنى من الزعيم وقد حمل بين راحة كفّيه قلمًا وورقة يدوّن عليها المطالب فلكلّ طلب لسان تفنّن في إظهار محاسن الكلام. هذا يطلب وظيفة لولده المتخرّج حديثًا، وذاك تنازع وجاره على ملكية قطعة أرض، وآخر

يتذمّر من غضب فصل الشتاء وهياج عواصفه فالمحصول فُقِد وغلة السنة تكاد لا تكفيه. وعائلة أخرى تسعى إلى كسب انتخابات بلدية في القرية وغيرها من الأمور.

وقف «طَموح» حائرًا أمام هول المطالب سائلًا نفسه: «لماذا هذا الشخص بالذات ولماذا نحن هنا نرافق هؤلاء الناس، فهل لوالدي مطالب أيضًا؟ أيعقل أن يكون هذا الشخص قادرًا على تحقيق الأماني وخيّل إليه أنّه في حضرة مارد أو جنّي خرج من قمقمه وقد نذر نفسه بعد ظهوره أن يحقّق كلّ ما يطلب منه.» وسرعان ما أفلت «طَموح» من يد والده وتوغّل بين الحشد فصار على مسافة قدم من الزعيم فاقترب منه وتفرّست نظراته في وجهه وقال بنبرة

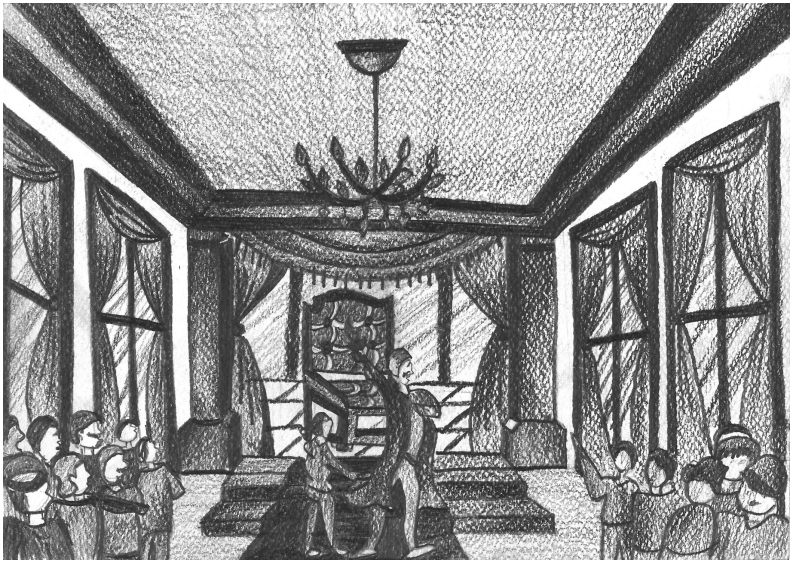

واثقة بل نبرة الباحث عن إجابة تُسكت ذلك النهم إلى المعرفة:

- من أنتَ ولم يأتي الناس إليك؟ ما قصدهم عندما يهتفون «الزعيم»، أتراك تتمتّع بقوى سحرية؟

هبّ الوالد إلى ابنه بسرعة وشدّه من كتفه بغضب، ملتمسًا السماح من الزعيم قائلًا:

- أعذرنا أيها الزعيم فولدي كثير الاسئلة وفضوليّ. أعذر تطفّله، إنّي ألتمس عطفك.

نظر الزعيم إلى الطفل وأدناه منه ثمّ همس في أذنه وقد علت وجهه ابتسامة ثقة وشعور بالعظمة، قائلًا:

- يا بنيّ، لو أنَّ كلّ من زارني سأل نفسه هذه الأسئلة لما رأيت أحدًا في قصري اليوم...

ضجّت الأفكار في عقل «طَموح» حين سمع كلام الزعيم وتساءل في قرارة نفسه: «ما قصده، ولم هذه الابتسامة الغامضة؟»

ثمّ أعاده والده إلى جانبه وطلب منه أن يصافح الزعيم وقد أشار إليه ليردّد الجملة التي علمّه إياها قبل الزيارة. مدّ «طَموح» يده وصافح الزعيم قائلًا له: «حماك الله وأطال بعمرك.» وكذلك فعل من بعده عمّه وابنه. وحين همّا بالخروج من البهو متوجّهين إلى السيارة، نهر الوالد ابنه: «كيف تجرّأت على رفع عينيك صوبه، ما الذي دفعك إلى طرح هذه الأسئلة كلّها؟ ألم تفهم ما طلبته منك؟ قد أسأت التصرّف يا ولد.»

- وهل في الأمر عجبٌ؟ أليس إنسانًا مثلنا ويعيش معنا في وطننا الجامع، فبمَ يختلف عنا؟ لم يهابه الناس ويطلبون رضاه؟

وأعلى الوالد صوته وعادت لتزيد حدّة كلماته من غضبه فانفجر في وجه ابنه:

- أصمت! هذا هو الزعيم، إتبعه من دون أسئلة! هو يحمينا ويدافع عنا ويؤمّن لنا كرامة عيشنا.

غير أنّ «طَموح» لم يقتنع فسأل والده:

- يا أبي، أنت تعمل وتكسب المال وتدافع عنّا في عزّ حاجتنا، فكيف نكون نحن في حاجة إليه؟

- إنّه يحمينا من الآخرين في الوطن...

- عمّن تتحدّث، وهل من آخر راغب في أذيتنا؟ نحن لم نؤذِ أحدًا قطّ ودولتنا وجيشها قادران على حمايتنا إن تربّص بنا عدّو خارجي، فهل هذا الآخر عدوّ داخلي؟

- ليس كل ما تتعلمه يا بني صحيحًا، فللمرآة الواحدة ألف وجه. الواقع يختلف، في بعض الأحيان، عمّا تقرأه في الكتب وتسمعه في الأحاديث ووطننا بلد العجائب. كل ما عليك القيام به هو أن تفعل كما أفعل، وتتبع من أتبع، وكما علّمني جدّك ها إنّي أعلّمك، نحن عائلة نورث تقاليد أفكارنا لأبنائنا.

وتدخّل العمّ مؤكّدًا كلام أخيه وطلب منه أن يطيع والده في كلّ ما قاله. فهذا هو النهج الصحيح، وفيه تكمن مصلحة العائلة.

بقيَ «طَموح» يفكر في عبارة الزعيم: «لو أنَّ كلّ من زارني سأل نفسه هذه الأسئلة لما رأيت أحدًا في قصري اليوم.» وانسحب بعدها إلى غيوم أفكاره، وأخذ يبحث عن إجابات شافية، فلا شيء مما رآه أو سمعه يُفهمه أو يقنعه. لكنّه فضّل الاحتفاظ بهذه الهواجس وعدم مناقشتها مع والده. أقنع نفسه أنّ الزمن وحده والأيام المقبلة ستجلي تلك الصورة الضبابية، وتأتيه بما يشفي نهمه إلى المعرفة. وإن لم يلقَ ذلك اليوم فسيلقاه حتمًا في مدرسة الحياة.

ذات مساء، اجتمعت عائلة «طَموح» كما جرت العادة فكان هناك الجدّ «قديم»، والجدة «قديمة»، ووالده «قاسي» مع الوالدة «حنونة»، إلى جانب الإخوة الثلاثة: البكر «متعصّب»، و«جبان» و«تبعي» ومعهم أختهم «حرية».

وانبرى الوالد يتحدّث:

- لو تعلمون ما صادفته اليوم؟

قال «طَموح»، بصوت ملؤه الشغف:

- أخبرنا يا أبي، أخبرنا ماذا رأيت!

واقترب وجلس إلى جانبه...

- اليوم، وكعادتي، خرجتُ من عملي في العاصمة، وإذا بالطريق مقطوعة بالإطارات المشتعلة. لم أدرِ ما السبب، وجلّ ما عرفته أنّنا أمضينا أكثر من ساعتين ننتظر الجيش، حماهم الله، حتّى يعيد فتح الطريق.

- لماذا الجيش يا أبي؟ أليس من واجبه الدفاع عن الوطن في وجه الاعداء؟ فلماذا نراه يُشغله مأزق الداخل؟

فسارع الجدّ قائلا:

- يا بني، جيشنا كالعمود الفقري في جسم الانسان. هو يبقي الوطن وطنًا، فإذا انكسر وانقسم قَسَمَ البلد معه. وأقول لك إنّه المؤسسة التي يثق فيها كل المواطنين، وقد عهدناه هكذا منذ الاستقلال.

- لكن يا جدي، لمَ تغيب بقيّة المؤسسات والأجهزة الامنية عن حلّ المشاكل؟ ولم حرق الإطارات وقطع الطريق، أليس هؤلاء أبناء الوطن وأهله؟ كيف لهم أن يؤذوه، وكيف لهم أن يقطعوا الطريق على إخوانهم في الوطن؟ ولم لا تتجاوب الدولة مع مطالبهم أو تنهيهم عن هذا الخطأ؟

وأردفت «حنونة» وقد حمل كلامها قسوة:

- هذا ليس شأنك، إنتبه لدراستك! واسعَ إلى التخرج من الجامعة كما إخوتك، ولا تسأل في السياسة، هي ثوب لا يلائم هذا البيت.

- لكن يا أمي، أليس أخي «متعصب» حارسًا مع الزعيم، يحمل صورته أينما ذهب ويدّعي أنّه يدافع عنه بدمه وروحه؟ ألم يخبرنا أبي عن حكاياته البطولية أثناء الحرب الاهلية ودفاعه عن القضية؟ ألم يكن، آنذاك، حزبيًّا سياسيًّا؟ وجّدي ألم يكن من المقاومين الثوّار القدامى؟ ولماذا هناك علم غير علم الوطن في البيت، ألا تعتبرين هذه المظاهر سياسة؟

وانتفض «متعصب» غاضبًا، وقال:

- إنتبه إلى كلامك عندما تأتي على ذكر الزعيم. فزعيمنا هو من يصون الطائفة والجماعة. إنّه حامينا وتسهر عيناه لأجلنا. هو من يضمن لنا حقوقنا، هو المرجعية في حال جارت علينا الدولة، إنّه لملاذٌ وملجأ.

فصرخت «حرية»:

- يا «متعصب»، هذا أخونا الصغير لماذا تصرخ في وجهه وتتحدّاه؟ هو لم يقل إلّا هواجسه وقد عبّر عنها بعفويّة...»

- لا مجال للنقاش، الكلام عن الزعيم ممنوع!

وتدارك الوالد الإشكال قبل حدوثه:

- في منزلي، الأمر لي، والصراخ في ما بينكم ممنوع في حضورنا. إنتبه يا «متعصب»، أنت لست بربِّ البيت بعد. أمّا أنت يا «طَموح»، فماذا أصابك اليوم؟ أراك تكثر من الأسئلة.

وهبّ «جبان» إلى الكلام:

- يا أخي «طَموح» لا حاجة لهذه الأسئلة، فالحال لن تتبدّل أبدًا. إتبعني في خطواتي فتنجحَ. ها إنّي قد تخرّجت وسوف أهاجر قريبًا وأرحل عن هذا البلد الفاشل. المال غايتي وعيشة الملوك أمنيتي. لن أسأل عن هذا البلد غير أنّي لن أتوانى عن زيارة أهلي من فترة إلى أخرى. فلماذا الشقاء في بلد لا أمل يُرجى منه. تخطَّ مثاليتك يا أخي وكُن واقعيًا!

واستطرد «تبعي»:

- لم الهجرة والسفر؟ إنّ ما يصون وجودي واسطتي، نذرت حياتي للقائد وقد أمّن لي وظيفة بعد التخرج وساعدني لأصل إلى ما أصبو إليه وقد حصدتُ الرفاهة وراحة البال، قائدي هو خيمتي وملاذي في البلد. جلّ ما يريده مني أن أزوره في نهاية كل عطلة أسبوع في بيته مع بقية الناس، وأبقي صورته في سيارتي وعلى مكتبي وأوافقه في مواقفه. ما أسهل هذه الحياة!

وقف «طَموح» ودموع الحزن واليأس خطّت طريقًا في خديه، ونظر إلى جدّيه ووالديه وإخوته بحرقة، وقال بصوتٍ أذابته الغصّة:

- لا وألف لا... هذا خطأ! لماذا عليّ أن أهاجر يا أخي وأمنح قدراتي وأفكاري وخبراتي لبلد آخر، ولماذا عليّ أن أختار وطنًا غير وطني؟ ما نفع المال وعيشة الملوك إن كنت بعيدًا عمّن ربّوك وأحبوك؟ وتقول لماذا تسأل عن بلدك، هو تاريخك وأصلك. إنّ من لا يجدْ خيرًا في وطنه لن يتلمّس الخير لنفسه.

أما أنت يا أخي «تبعي»، فكيف لك أن تعيش مسلوب الرأي والقرار وذليل الخيار؟ لماذا عليك أن تزوره وتعطيه شرعية؟ لماذا ينال القائد ولاءك وتسأله بعدها عن الحماية؟ ممَّ سيحميك، أَمِن زملائك في الوطن أو من رفاقك في المدرسة والجامعة، أو من أصدقاء من غير طائفتك، أو من الدولة نفسها في حال خالفت القوانين؟ كيف لسفينة الوطن أن ترسو في برّ الأمان في ظل هذه القناعات؟

وتابع بصوت عال وهو يجهش في البكاء:

- أمّا أنت يا أخي «متعصب»، فشكرًا لك! نعم شكرًا لك، لأنك على استعداد لضرب أخيك كرمى لعيني «الزعيم»، هذا إذا لم تقتله. أنت وأمثالك قد استبدلتم منطق الدولة بمنطق الزعامات والمزارع، وتفخرون وتفاخرون بنمط العيش هذا وتقرّون به. ماذا أعطاكم هذا الزعيم يا أخي «متعصب» حتّى تدافعوا عنه وتعتبروه القضية، أحسبه أميرًا من أمراء الدكتاتورية، يقرّر فتنفذون، يضحك فتضحكون، يأمر فإما تَقتلون أو تُقتلون. كيف لكم أن تعيشوا مرهونين لأمره مقهورين؟ إنّ الإنسان منّا قد ولد حرًّا لا يملكه أحد ولا يأمره أحد. حياته تسِمُها حريته، هو ميت لا محالة ينتظر دفنه إن عاش في خوف قناعاته. وكم من امرئ أصادفه على قيد الحياة وهو ميت، وكم من أموات تحت التراب أحياء لا يموتون.

وقفت الوالدة «حنونة» وحضنت ولدها قائلة:

- لا تبكِ يا بني! لا تبكِ. هذا البلد لا يستحق دمعك. غيرك لا يسأل، فلم أنت سائل؟

- أرجوك يا أمي، لا تكوني أقسى من إخوتي عليّ في سؤالك. أنتِ تقتلينني بكلامك. كيف تقولين إنّ وطني لا يستحق دمعي؟ إنّ وطني لمستحقّ روحي وحياتي، وطني هويتي كما منزلي، إن احترق حرقني، وإن استقرّ استقررت فيه هانئًا وعشت في ربوعه آمنًا.

لم تستطع الأخت كبت كلماتها عمّا يدور حولها من أحاديث:

- أخي، حبذا لو أنّ هنالك شبابًا وطنييّن أمثالك لكان وطننا عندئذ في ألف خير. كم أعشق هذه الروح الثورية السلمية الفكرية التي تحملها في عقلك وروحك. أمثالك هم الأمل المرجوّ.

- يا أختي، يا غالية. والله، إنّنا شباب أحرار سياديّون وبالوطن الواحد الموحّد حالمون. لكنّ الزعماء والقادة،لم ولن يسمحوا لمنطق الدولة والمؤسسات بالعيش والبقاء، وسوف يخسرون الارض بعد أن خسروا السماء.

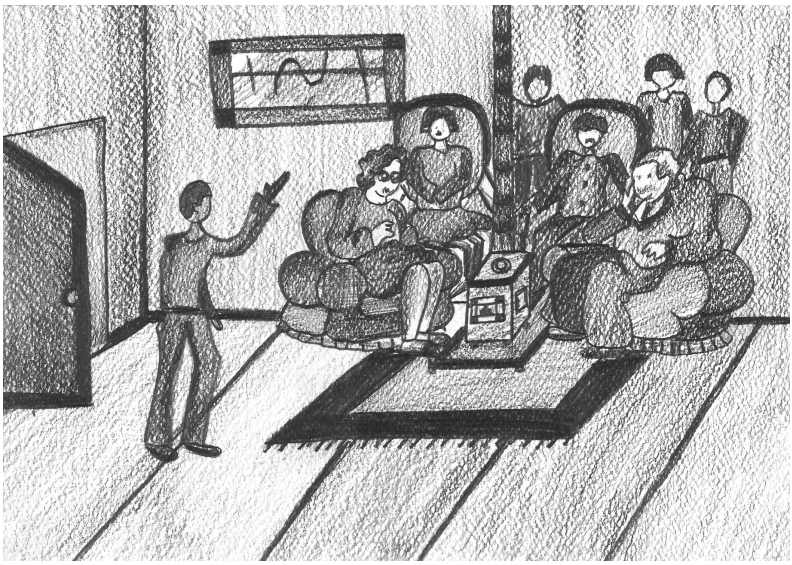

يا أهلي، أنتم تقولون إنّ السياسة ليست لهذا البيت! وإنّي لأراكم منغمسين في وحولها تعيشونها يوميًّا، لكنّكم مسيّرون لا مخيّرون. أعدكم أنّي سأبدّل الحال، ولن أرضى ما ارتضيتموه. إنّ وطني سيكون

هويتي. سأناضل وأبقى أناضل لأكرّس منطق الدولة، وسأبقى أنا ورفاقي في الوطن، من كلّ الطوائف والمذاهب، متحدين متفقين على منطق الوطن الواحد الجامع. لن نرضى باستعمار كما ارتضيت يا جدي، ولن نتقاتل في حرب أهلية دامية وننقسم على ذواتنا ودولتنا كما فعلت يا والدي. لن أهاجر قبل أن أبادر يا أخي «جبان» ولن أعطي شرعية إلّا للدولة. والوطن وحده سيكون السعي يا أخي «تبعي». وإنّي لن أقتل لأجل الزعيم وأقتل إنسانيتي في الصميم يا أخي «متعصب» غير أنّي سأربي نفسي لأكون مواطنًا، وسيبقى وطني متجذّرًا في عقلي وساكنًا في قلبي.

قال ذلك وختم كلامه بصوت صارخ قبل أن يغادر الغرفة دامعًا:

- أصبحوا على حلم الوطن.

وكان النجاح...

ها هو «طَموح»، بما حمل اسمه من نجاح واستمرارية، يتخطّى المرحلة الثانوية بنجاح نحو الجامعة، التي يعتبر أنّها ستخرجه من قوقعته ومجتمعه الضيق نحو المجتمع الأكبر ألا وهو الوطن. فتجمعه برفاق وزملاء من مختلف الطوائف والمذاهب، فيتعرّف مَنْ يشاركه أحلامه وطَموحاته فيها.

وها هو يرافق ابن عمّه في طريقه إلى الجامعة قائلًا:

- ما رأيك يا شجاع، كيف ستكون الجامعة؟ أتراها جامعة شبابَ الوطن على اختلاف أطيافهم واعتقاداتهم، هل هي طريق الخلاص للوطن ببناء نهج شبابي جديد جامع، ما رأيك؟ هل سنتعلم نحن كيف ننتقد أنفسنا قبل أن ننتقد الآخرين ونحاسبهم؟ وهل إنّ ما سنتعلمه سيكون السلاح الفكري والسلمي، والقلم الذي سوف يرسم مستقبلنا على صفحات دفاتر الوطن أم ستكون المحسوبيات والوساطة واللامبالاة طريق نجاحنا كما عاشها أخواي تبعي وجبان؟

فأجاب شجاع:

- يا ابن عمي تقف أفكاري عاجزة أمام ما طرحته، هذه الأسئلة إن دلت على شيء فهي تدلّ على هواجس شاب وطني صادق ومثالي يعشق وطنه ويخاف عليه وليس منه، فهنيئا لوطننا بمن يسير على درب هذه الافكار. لكنّنا بحاجةٍ أن نختبر المصير لا أن نتوقعه،

فاترك الحكم والإجابة للمستقبل. إنّ التجربة كفيلة بإيضاح الصورة وتبديد الهواجس وتكريس القناعات، ولنأمل أن تكون جامعتنا جامعة لا مفرّقة. والجامعة ظلّ صغير من ظلال المجتمع الكبير تعكس حقيقة ما يجري في شوارع الوطن حتّى في أزقّته الضيّقة وما يدور خلف ستائره. ففيها تتعدد الطوائف والمذاهب والانتماءات ويتعرّف الشباب الوجهَ الآخر أو الرأي الآخر في الوطن.

والسؤال ظَلَّ يجتاح فكر «طَموح» الاجتماعي والسياسي حتّى أرّقه، فهل سيتقبل الشباب يومًا الرأي الاخر أو الأنا المختلف؟ وتوالت الأيام وبدأت الجامعة وازداد التواصل مع الآخرين. في بادىء الامر، تعرّف «طَموح» و«شجاع» إلى زملائهم في الصفّ عينه من شباب وصبايا. فكانت أولى الاهتمامات المشتركة الدروس، تلاها حضورهم اليومي وتقديمهم المساعدة بعضهم لبعض حتّى يتخطَّوا المرحلة بنجاح، فحصل التقارب بين الزملاء وصارت شوارع صغيرة أشبه بشوارع الوطن، كلّ واحد منها تفرّد بهويّة خاصّة.

استطاع «طَموح»، بأفكاره وشجاعته وتحرره وفكاهته في بعض الاحيان، أن يكسبَ عددًا لا بأس به من الرفاق والزملاء والاصدقاء، وقد كان خلوقًا متكلمًا مناقشًا صريحًا وصادقًا، يتصرّف كما آمن وحلم، متقبلًا الجميع ومتحاورًا معهم. فطَموح لا يميّز الاشخاص أو

يفرزهم حسب طوائفهم أو اعتقاداتهم وانتماءاتهم لأنه يؤمن أنّ الدين يمثّل علاقة الفرد بخالقه، ولا أحد يحدّد هذه العلاقة غيره. وهو إن تصرّف يتصرّف عن قناعة والتزام، فلا يحبّذ بناء العلاقة الاجتماعية انطلاقًا من مبدأ التوافق على الدين أو العقيدة إنّما انطلاقًا من مبدإ تقبّل الآخر لما يمثّله من أفكار وطَموحات.

ومع الوقت، عقد «طَموح» أواصر الصلة مع الرفاق وذاع صيته أكثر بين زملائه فنمت صداقاته ومعارفه. وماكان منه الا الانتقال إلى مرحلة النقاش السياسي في أمور الوطن بعدما استطاع تحقيق أولى مبادئه في بناء العلاقات الاجتماعية يكرّسها فهمه للآخر وتقبّل قناعاته وأفكاره والاستماع لاهتماماته وهواجسه ومشاركته طَموحاته. كان يرفض رفضًا قاطعًا، عندما يتعرف إلى زميل جديد، أن يجيب عن الاسئلة التالية: «من أين أنت وإلى أيٍّ عائلة تنتمي؟»، «من تؤيد؟»، «ما هي انتماءاتك وأفكارك السياسية؟»، لأنّه يدرك أنّ هذا الاسلوب في بناء العلاقات الاجتماعية يفشل فيقضي على المجتمع ويفتّته. والهدف من هذه الأسئلة، حين بناء علاقة زمالة صداقة منذ البداية، أن يُكوّن السائل فكرة عن طائفته ومذهبه فيستدرك طبيعة الحوار ويتصنّع في حديثه وفقًا لما يقتضيه الجواب المستجد. وبذلك تموت العلاقة قبل ولادتها في رحم الانقسام والتعصّب والشرذمة الوطنية.

كان «طَموح» كثير الحرص على نسج علاقاته الاجتماعية مرتكزًا على آرائه المتحررة وأفكاره الوطنية ولم يكن ليجيب إلا بما ارتضاه

إجابة مناسبة: «يكفيني أنّني وطني وهذا ما أنتم بحاجة إلى معرفته فقط ولعلّ الأساس يكمن في طريقة تفكيري وأسلوبي معكم.»

وبذلك استحوذ هذا الشاب على اهتمام رفاقه وزملائه، ولو أنّ بعضهم انتقده وردّد على المسامع المثل الشائع: «إنّ عاقلًا بين المجانين يبدو كأنّه وحده المجنون.»

ذات يوم، كان «طَموح» في طريقه إلى الجامعة فمرّ قرب مقهى الجامعة، وهو مركز تجمّع الشباب. ناداه زميله «مثقّف» قائلًا:

- يا صديقي «طَموح» كنّا في انتظارك، أرجوك تعال وجالسنا. الحوار محتدم والنقاش صعب. إقترب وشاركنا في آرائك.

فامتثل الشاب إلى طلب صديقه وجالس زملاءه الذين فاق عددهم العشرة، منهم من يعرفهم، وبعضهم كان قد صادفه ولم يحدّثه من قبل. فسأل بطرافة كاسرًا حدة النقاش:

- أخبرونا يا شباب عن طقس الحديث، هل هو عاصف قاتم أم مشمس مشرق؟

فقاطع «مثقف» الكلام بعدما أبدى رغبة في الإشادة بزميله:

- أيها الشباب! هذا هو زميلنا الذي أخبرتكم عنه. نحن حتى هذه اللحظة لا نعلم إلى أيّ طائفةٍ ينتمي. فهو يرتل التراتيل المسيحية، وقادرٌ على إقامة الصلاة على الطريقة الإسلامية، وهذا ما جعلنا حائرين في هُويته الدينية، لأنّه دائم الرفض في الإفصاح عمّا لا يتقبّله.

عندها وقف شاب من بين المجموعة وقد شحذ الغضب كلماته، نظر إلى «طَموح» نِظرة استغراب واحتقار ووجّه الحديث إلى «مثقّف»:

- وهل يخجل صديقك من بيئته ودينه أم يعتبر انتماءه الطائفي عيبًا وعبئًا على كاهله؟ إن كان خجلًا فأنا لا أقبل أن أجالس من يشابهه.

وهمّ بالرحيل.

وسرعان ما انتفض «طَموح» من مكانه وأمسك بيده قائلًا له:

- يا صديقي! أرجوك لا ترحل. إنّ ردّة فعلك القاسية هذه تُثبت صواب قراري بعدم البوح بانتمائي وديني وجذوري. أتمنى أن تسمعني لهنيهة فأشرح لك وجهة نظري على مسامع الاصدقاء والزملاء. وأعدك أنّي، عندما أختم كلامي، سأرحل عنكم لأنني كنت دخيلا على الجلسة. أنا لا أقبل أن أتطفل فأضايقك، أعذرني.

إنّ جلّ ما أطلبه منك دقائق قليلة فقط، يسعدني قبل البدء أن تطلعني على اسمك كي أستطيع، بما فيه من اللياقة والاحـترام، مناقشتك كما تستحق. فمن كان صادقا في بوحه يستحق منّي كلّ تقدير. أنا اسمي «طَموح» وأنت يا صديقي؟ سأله مبتسمًا فاستطاع أن يسيطر على ثورة الغضب في نفس الزميل الغريب كما استطاع بسرعة بديهته أن يقنعه بالجلوس. فقال هذا الاخير:

- أنا اسمي «إلتزام». قد صرت جاهزًا لسماعك فتفضل... أقنعنا.

جلس «طَموح» واستطرد بعدها قائلًا:

- إعلموا يا أصدقائي أنّ النقاش والحوار ضروريان وتبادل الافكار والثقافات مهم لبناء مجتمع موحّد يتفاهم ويتطور ليحضن الجميع من دون استثناء، ولا حاجة إلى تغييّر قناعات بعضنا. يكفينا أن نتشارك في هواجسنا، واتركوا بعدها الاقتناع للتجارب والزمن. أما أنت يا صديقي الثائر الملتزم بانتمائك لأصلك ونسبك، فسأجيبك بكثير من الصراحة والوضوح، إنّي لمفتخر بنسبي وانتمائي وقريتي وبيتي ومؤمن بديني. لكنّ هذه الامور كلّها شخصية الطابع بامتياز، وأنا لكتمانها كثير الانحياز. وسبب اصراري على عدم مشاركتها أو مناقشتها مع الآخرين هدفه التقرّب منهم من دون استثناء متخطيًا بذلك كل العقبات والعراقيل التي يفرضها المجتمع علينا.

- كيف هذا؟ على أي أساسٍ بنيت موقفك؟ سألت فتاة من الحاضرين اسمها «جميلة»، وقد قال عنها «طَموح» حين اتّخذها فيما بعد رفيقة له إنها تفلّتٌ من الجمال في اجتماع الأناقة والسحر تكاد أن تمثل الطبيعة في رقيّ ما فيها. وقد صارت الأقرب إلى قلبه وعقله علمًا أنّها اختلفت عنه دينًا.

أجابها «طَموح» باحترام وبصوت عذبٍ اختلفت نبرته عما كان يحادث به إلتزام:

- أعذريني أيتها الشابة الجميلة إن حادثتك متعمدًا عدم النظر إليك، لأن عينيّ تضعفان أمام حرم الجمال. وأخافُ أن يخونني

عقلي فتعجز كلماتي عن مجاراة أفكاري فتتشتت إذا نظرت إليك.

إستغرب الجميع جرأة «طَموح» وصراحته، وكانت كلماته قد زرعت ورودًا زهرية صغيرة على خدّي «جميلة» فتابع قائلًا:

- من البديهي أن يختلف الموجودون بطوائفهم ومذاهبهم أليس كذلك؟

فوافقه الجميع بعدما أسرهم في لباقة حديثة وحسن اختياره ألفاظه فكان جميل الاندفاع في كلامه، موزون الحديث في رصانته. وتابع شارحًا أفكاره:

- في ظلّ الانقسام العمودي بين الطوائف والمذاهب، وبناء على الاختلاف في العقائد، وأداء الطقوس الدينية، وفي ظل غياب التوعية والثقافة الاجتماعية لتقبل الاخر بناء على الافكار والقيم والمبادىء. لا يمكننا، نحن الشباب، أن نبني علاقات صادقة قوامها الثقة والمحبة وروح المشاركة والتعاون. آن لنا أن نتخطى الحواجز التي فرضتها علينا الحروب الاهلية؟ نحن ولدنا مفروزين مقسومين بحسب قرانا وعائلاتنا. مَن منّا لا ينتمي إلى قرية عاشت نزاعًا، أو عائلة لها ابن قُتِل أو ضاع. وكم من واحد منكم، أيها الشباب، يجزع حين يتعرف إلى زميل من طائفة أخرى أو يسمع عن انتماءات مختلفة. بربكم، كيف لنا نحن شباب الجامعات، أن نكوّن علاقات جديدة من زمالة صادقة وثابتة تعيش في قلوبنا، إن كنّا نبنيها على تاريخ من الانقسام والاحداث الاليمة التي توارثناها، أو حتى الفروقات العائلية. وعلى

هذا الأساس، ولأنني أؤمن بقوة الانسان الفرد العاقل المفكر المتحرر في بناء العلاقات المتينة، وبأهمية الثقافة والانفتاح وتقبل الاخرين بغض النظر عن انتماءاتهم وعقائدهم، أبحث عن درب أشقّه حتّى أكون رابحًا ثقتهم وأقرب إلى قلوبهم. فتكون النتيجة إمّا أن يقبلوا بي كما أنا، من دون مقابل أو مصلحة، وإمّا أن يرفضوني، غير أنّي سأحظى حتمًا باحترامهم.

كان الحاضرون من الزملاء قد أسروا بحديثه الممتع وثقافته الواسعة وانفتاحه على الاخرين ولجوئه إلى الحجج والبراهين في عرض وجهة نظره فبدوا كأنهم تائهون في غيوم الاستغراب وسابحون في بحر التعجب.

وقف «طَموح» بعدما أنهى حديثه وهمّ بالرحيل قائلًا:

- أخاف على نفوس في التعصّب غارقة
كسهام تكون للقلوب والعقول حارقة
أرض بور هـي النفـوس المـتعصبة
فنفس الحـرية شمس للخلود شارقة.

فاعذروني يا شباب إن أطلت عليكم حديثي، وأنت يا زميلي أدعوك إلى العودة إلى المثل الشائع: «لا تكن قاسيًا فتُكسَر أو ليّنًا فتُعصَر»، إن أحببت فلا تعشق للنهاية لأن الفراق صعب، وإن كرهت فلا تبتعد أو تحقد لأن الحياة مليئة بالمفاجآت، فقد تكره شخصًا ربما قد يبدي عليك حرصًا حين تتاح له الظروف.

وقام من مكانه فسارع «إلتزام» إلى النهوض وقال له:

- أرجوك، لا ترحل يا صديقي. إنّني شديد الاعتذار! قد أسأت الحكم عليك، وإنّي لأفتخر وأتشرف حين أصافحك. فلو عرفت كيف تفكر من قبل لما سألتك عن دين أو عقيدة. وعلى مسامع زملائنا أرجو أن تعذر سوء تصرّفي.

ثمّ قالت «جميلة»:

- ما أشدّ احتياجنا إلى شباب متحررين ومثقفين! صحيح ما ذكرت. نحن نعيش آفةً اجتماعية. فعلاقاتنا في غالبها، كيلا أقول جميعها، تُبنى على ثقافة التقسيم والفرز الطائفي والمذهبي والسياسي. كثيرنا لا يتقبل الآخر لمجرد معرفته إلى أي طائفة أو منطقة أو حزب انتمى، أنا أوافقك الرأي يا «طَموح».

واقترب «مثقف» منه مربّتًا كتفيه قائلا:

- هذا هو أخي وصديقي الذي أخبرتكم عنه، هو من أقنعني بتخطي عقبات الطوائف والانقسامات المتوارثة والبحث عن المواطنة عقلا وروحًا، فيكون الحكم لعقلي، لا لزعيمي ورأيه.

عندها وقف المجتمعون يصافحون يـدَي زميلهم الجديد ويتعاهدون على الزمالة والصداقة، وذهب كلٌّ منهم في طريقه، أما «طَموح» فقد سافرت عيناه ترافقان «جميلة»، بعدما خطفه جمالها الأخّاذ وأنوثتها الراقية الأنيقة.

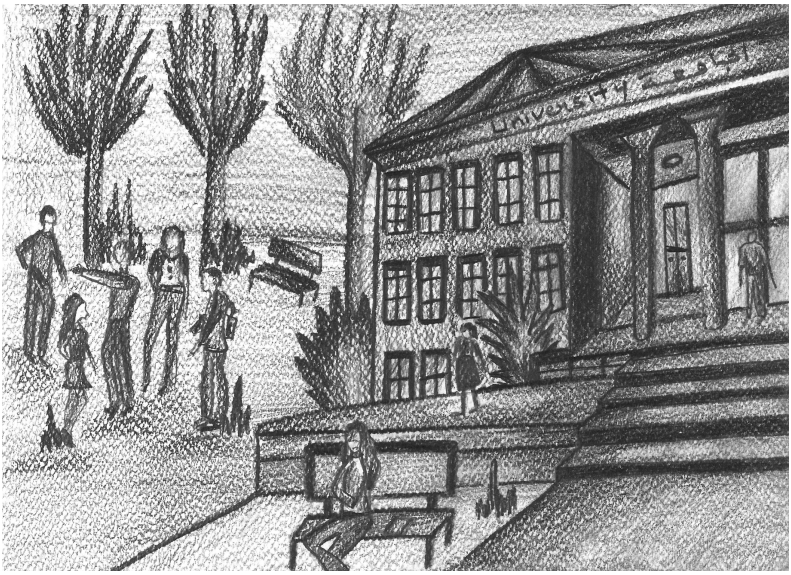

وكان لقلبي «طَموح» و«جميلة» الكلمة الفصل.

فبعد أن جمعتهما رحلات ومشاوير كرّست الاعجاب والانجذاب، وبعدما اعتلت «جميلة» عرش الحب والعشق وأسرته بجمالها وحسن لباقتها، رأى «طَموح» في عينيها سكون الليل، وفي شعرها المتماوج بريق الشمس ودفئها، ولمس في روعة ابتسامتها الأمل والحرية، فكانت لروحه التوأم ولجروحه البلسم. أحبها وعشق رفقتها.

وسألته يوما أن يرافقها ليتعرف إلى أهلها فنظر إليها بشغف ثمّ خالجه شعور استغراب، فقال:

- كيف يمكن لأهلك أن يقبلوا بي ضيفًا ولابنتهم حبيبًا إن كنت أختلف عنهم دينًا؟

- لن تلقاهم على أنّك الحبيب إنما أنت رفيق مثقف كنت قد حدثتهم عنه كثيرًا.

- إنه لشرفٌ أن ألقى من أهدى الدنيا جميلة الجميلات وخيرة المثقفات. إني لشاكر هذه الثقة والمديح وأتمنى أن أكون عند حسن الظن.

أمسكت «جميلة» بيديه وسافرت في بحر عينيه، ونطقت بما يزيدها شغفًا وعشقًا:

- رأيت في شخصك الأمل فمحوت من نفسي الألم. لمست في فكرك حرية القلم فكنت سلاحًا في وجه من ظَلم. أحبّك بل أعشقك، أنت لروحي الغذاء ولعقلي الكساء. فلتعلم يا «طَموح»، حتى لو لم تكتب لنا الحياةُ قدرًا جامعًا سأكون لذكراك وفية لأنك نفحت روحًا في داخلي فجعلتني إنسانة جديدة، طَموحة متحررة وطنية، إستمدّت منك طاقة إيجابية.

- إسمعيني يا حبيبتي... لو أنّ للإنسان القدرة على تحقيق كلّ ما يتمناه لما كان للأحلام دور ولا لذة. ولو كان كلّ ما يطلبه سهل المنال لانتفى دور الإرادة والأمل والعمل، فلولا الخسارة في بعض الامور لما عرفنا طعم النجاح والسرور، ولولا صعوبة تحقيق بعض الاحلام لأمضينا أيام عمرنا من دون اهتمام.

جميلٌ أن نعشق ونسلّم أنفسنا للحب. علاقتي بك شفّافة كمن يبصر خيوط شمس تنسلّ مع عبق الصباح. أحبك وتكاد روحي

تلامس السلام لمجرد رؤيتك. إنّ قلبي كفارسٍ يمتطي جواد العشق مسافرًا، أمّا عقلي فصار يفترش غيمًا دافئا تُتَوِجُهُ قصور الأحلام...

«جميلة»، أتعتقدين أنّه، في بلدٍ يغلب عليه الطابع الطائفي والاختلاف العقائدي والديني والخلاف المناطقي والتاريخي، سيكتب لعلاقتنا النجاح والاستمرار؟ وإن كانت لنا حرية القرار فهل سننعم بالاستقرار؟ كلّ هذا يضاعف الصّخب ويتخبط في بحر أفكاري، إنّي أخاف على رقّة أحاسيسك إذ يُرعبني أن أخدشها يومًا بحبّي...

وبرق الدمع في عينيّ «جميلة» وتنهّدت تنهّد العاشق المتيّم:

- إنّي أعشق صدقك وانسجام أفكارك وسحر الرقة في كلماتك! صرت تضرم النار في هيكل جسدي...

ضمّها «طَموح» إلى صدره... وكانت السماء قد قررت ريّ الارض، فارتسمت على وجه «جميلة» ملامح الخجل والحياء.

أراد أن يرافقها إلى مكان يقيهما زخات المطر فافترشا حديقة الجامعة بين الزهور والشجر. وأبت «جميلة» التحرك من غمرة يديه حين ضمّها إلى صدره، فرفعت رأسها لتقابل عيناها عيني حبيبها، وهمست في أذنه:

- أريد أن أبقى برفقتك تحت المطر، أريد أن أشعر بخفقات قلبك الدافئة. فكيف لزخات مطرٍ باردة أن تطفئ شمسًا كوتها نيران حبك؟ أريد أن تشدّ بيديك قيدي، فتجعلني أشعر بالأمان والاطمئنان. دعني أحلم فأغوص في لجج أحلامي وأنسى في جنات

لطفك آلامي. أنا أعشقك بجنون وفي قربك يعذّبني الجنون فتتوه عنّي هُويتي وأوشك أن أنسى من أكون...

حينها رفع «طَموح» القبعة عن رأسه ونزع شاله عن كتفيه ورماهما بعيدا، وعلت وجهه ابتسامة عاشق طفولي: «بقربي قد إرتضيتِ يا حبيبتي البرد والمطر، هو زمن يحلو أن يقال فيه زمن في الحبّ تسمّر وانتظر، لن تفارقي حضني يومًا وأغمض عينيه وترك شفتيه تتلمسان طريقهما على شفتيها...»

في اليوم التالي، حددت «جميلة» موعدًا لطَموح للقاء أهلها بعد انتهاء الحصص الدراسية في الجامعة. وأمضت النهار فيها فرحة متفائلة فهذا هو اليوم الذي سيلتقي بأهلها، هو حبيبها ورفيقها الذي أخبرتهم عنه منذ فترة فتشوقوا لرؤيته.

غير أنّ درب الورد المفروش جرحها بأشواكه فطَموح لم يحضر يومها إلى الجامعة. ووقعت «جميلة» في حيرة من أمرها، وظلّت تحاول الاتصال به منذ الصباح لكنّ هاتفه لم يسمعها صوته، ورفاقه المقربون لم يعلموا شيئًا عنه. وقد سألت ابن عمه، وهو أكثر من يأتمنهم على أسراره، لكنّه لم يعلم أيضًا مكانه. فارتعبت، وأخذت تتوه في أروقة الجامعة تارةً وتنتظر على أبوابها طورًا.

شارف اليوم على الانتهاء واقترب موعد اللقاء، لكن كيف ستكون ردة فعل أهلها إن خذلهم «طَموح» في حضوره؟

وخرجت «جميلة» من حرم الجامعة وتوجهت إلى المنزل. وسرعان ما رنّ هاتفها، نظرت إلى الشاشة فرأت صورته. تردّدت في الإجابة وسبقها بكاؤها حين تكلّمت:

- أين أنت يا حبيبي، لماذا لم تأتِ إلى الجامعة اليوم؟ أصدقاؤك لم يعلموا شيئًا عنك، أخبرني ما بك؟ هل نسيت موعدنا اليوم أم تناسيت ذلك عمدًا؟ أرجوك إرحم حَيرة قلبي!

- حبيبتي أعذريني فقد كنت بحاجة إلى التفكير، خرجت إلى الطبيعة لأنها ملاذي الآمن فهناك أحتمي من هموم الدنيا

وتعقيداتها، خرجت لأغرق في صفاء أفكاري حتى أصوّب مساري وأتّخذ قراري.

خيّل لجميلة أنها سمعت صوت حبيبها على مقربة وإذا بيد تمسك كتفها من الخلف، التفتت فرأت «طَموح»... ضمتّه بشدة إليها ورجته ألّا يبتعد عنها ثانية ثم انطلقا معًا إلى الموعد المرتقب.

دخلا شارع المنزل. فأفلتت «جميلة» يدها بغرابة من يد حبيبها، وعلم «طَموح» أنّ للمجتمع الشرقي حضورًا في تلك الناحية، وأنّ «جميلة» لا تقوى على مقاومة ألْسنة جيرانها وأقاربها لأنها تعلم أنّ المجتمع منغلق وله حيثياته وتقاليده الخاصة. وصلا إلى باب البيت فقرعته وإذا بأمها «قدوة» تفتحه:

- أهلًا وسهلًا بضيفنا العزيز، تفضل.

إبتسم «طَموح» وأحنى رأسه قليلًا احتراما وإجلالا، ودخل في رصانة ليقابل رجلًا مسنًّا أبيض الشعر، ملتحفًا بعباءة سوداء، طويل القامة كثير الهيبة. مدّ يده هذا الاخير وصافح ضيفه بقبضة قوية وشدّ قائلًا بصوت جهوري:

- أهلًا بك في بيتنا ضيفًا عزيزًا كريمًا، قد أخبرتنا «جميلة» أمورًا عديدة عنك فأحببنا أن نلقاك.

- «طَموح» هذا والدي «محترم»... حدّثتك كثيرًا عنه.

- أشكركم على هذه الحفاوة، إنّه لشرف عظيم.

ثمّ هتف شاب من خلفه:

- كيف حالك أيها الشاب؟

إلتفت «طَموح» فرأى شابا طويل القامة ذا هيبة، فأيقن أنّه الأخ البكر في العائلة، وقد دعاه إلى الجلوس.

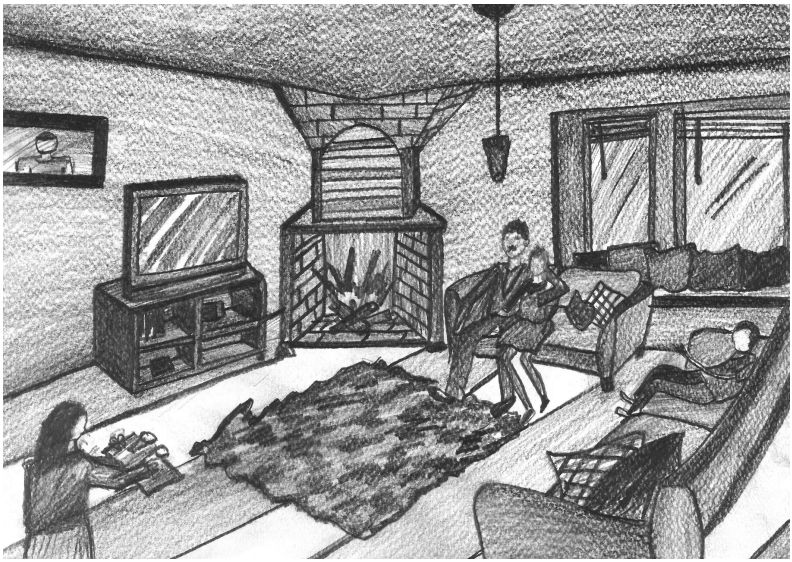

جلس الجميع في غرفة دافئة تتربع في إحدى زواياها مدفأةٌ على الحطب، وقربها جلد من صوف خروف بنيّ اللون، حيث إتخذ الوالد من صدر الغرفة مجلسًا، فصار يحرّك النار يطعمها الحطب تارةً ويبارزها بالشيش طورًا. جلست «جميلة» قرب والدها واتكأت عليه، فلفها بذراعه القوية قائلًا:

- من النار أمامي أستشف دفء جسدي... ودفءُ حنانك يا ابنتي يحييني.

أخذت «جميلة» بيد أبيها وقبلتها:

- أدامك الله لنا تاجًا فوق رؤوسنا، وأطال بعمرك.

بعد لحظات سكون عمّت الاجواء قال الوالد محدقًا بالمدفأة:

- في رأيي، إنّ الأصل والنسب سمتان مهمتان في حياة الانسان وركنان أساسيان في بناء حياته الاجتماعية لأنّه من غير الممكن سلخ الفرد عن بيئته، وفي اعتقادي أنّه مهما كانت أوجه الاختلاف الجغرافية والايديولوجية قائمة بين مختلف الاطياف الاجتماعية، فالانسان يستطيع أن يفتح نافذة إذا أقفلت في وجهه الأبواب فيتعرف الاخرين ويتلاقى بهم. فما الضيرّ من أن يُسأل الانسان عن حسبه ونسبه، وبعدها يبني علاقاته؟ هذا يتطلب جهدا وقدرة، فما رأيك يا ضيفنا العزيز؟

- صدقت في ما قلته، ردّ «طَموح». تسألني عن رأيي وأنت من عرف الدنيا وخبرها وقد أمضى في ربوع مدارسها وقتًا طويلا، قد كسبت حكمةً تفوق قدرتنا نحن الشباب على استيعابها أو مجاراتها. إنّ أمور الحياة وطرق ممارستها تعجز الكتب الاكاديمية عن تعليمها وشرحها لنا، إنّ الأمر يتطلب عمرًا وخبرة.

عندها أيقن ربّ البيت أن ضيفه على مستوى عال من الاخلاق والاحترام لأن إجابته إن دلّت على شيء فهي تدلُّ على ذكاء متقدّ وأخلاق رفيعة. والعم «محترم» متأكد من أنّ أفكار «طَموح» قد تختلف معه وقد تكون لديه إجابة مغايرة أو رأي مختلف. لكنه

أجاب بطريقة تليق برجل محترم يعتبره أهل البيت قدوة ومرجعيّة.
عندها التفَت الوالد نحو «طَموح» قائلًا:

- أجبني يا بنيّ، إن كنّا نختلف عنك دينًا ومذهبًا فكرًا وعقيدةً، كيف عسى أن نتقارب أو نتشارك؟

- أريد أن أسألك عن بعض الاستفسارات، فهل تسمح بذلك؟

أومأ والد «جميلة» برأسه مبتسمًا، وأشار بيديه الكبيرتين بارزًا راحة كفيّه علامة تامة على الرضى والاحترام والاصغاء، فما كان من «طَموح» إلّا أن تابع قائلًا:

- إننا نعيش على أرض جامعة، وتسألني بم نتشارك؟
نرفع العلم عينه والشعار، ومع هذا تسألني بم نتشارك؟
أرضنا واحدة... بحرنا واحد... حتى ديننا العام واحد... ومع هذا تسألني بم نتشارك؟
لماذا علينا البحث في المذاهب والاديان؟
لماذا العقائد، وما دورها في بناء وطن رائد؟
عوض أن تسألني يا عمُّ بأي أمر نتشارك، لماذا لا تسألني كيف الطريق للمشاركة؟
كيف نعيش متفقين متحدين طامحين على رغم الاختلاف في العادات والتقاليد؟ لا يجب أن نسلخ أنفسنا عن بيئتنا.
إنّ بيئة الانسان هويته... ويجب أن تكون الاساس للانطلاق نحو الناس أجمعين وعلينا التفاهم والتواصل وتبادل الافكار لنساهم

في إعمار الدار، فالأوطان لا تبنى بمجموعات أو أطراف معينة بل بأفراد المجتمع كلّه.

- عجبًا... أراك تختلف عن أبناء جيلك! إن سمعْتُك من غير رؤيتك لحسبتك لي رجلًا خاض غمار الحياة فصنعت منه رجلًا مثقفًا فيه صفات حميدة كثيرة. وإن نظرت إليك وجدتك شابًا مفعمًا بالحياة وطَموحا لكنّ يا بني حالم كبير. لماذا تسبق عمرك بأشواط ولم لا تعيش أيّامك كرفاقك وأصدقائك؟ إنّ الهموم التي تحملها أخالها عبئًا كبيرا عليك. تذكّر دائمًا متى اقتربت من النار حرقت يديك.

تدخَّل «قوي» في الحوار:

- أيها الضيف الكريم... ما بالك والسياسة، فماذا تأمل أن تغيّر!؟ بلدنا تأسّس على الخطأ وسيبقى وفيًا لخطئه. أدعوك إلى تسلية نفسك بما يفيدك، توجّه إلى الرياضة مثلًا. أنظر إلى حالي... أنظر إلى جسمي... ما أشدّ تناسقه وقوتّه! إن لعبة كمال الأجسام صنعت مني رجلًا يخافه الرجال وترغب فيه النساء. أترغب في أن ترافقني إلى النادي؟

- إنّ الرياضة مهمّة جدًا... أوافقك يا قوي، أنا أمارسها لكن بتقطّع. إسمح لي أن أهنِّئك لأنك تتقن ما تفعله. والنتيجة واضحة... من الرائع أن يحصد المرء نتيجة جهده، أمّا السياسة فإنّي أعتبرها الرياضة التي تصقل عقلي وتنشط أحلامي وأفكاري

وتكوّن شخصيتي. فمهما كانت نتائجها وانعكاساتها عليّ فسأقبلها لأني ارتضيتها لنفسي وعملت في سبيلها. إنّ النضال للحرية والوطنية لا يتعلق بعمر الانسان وسنيه بل يرتبط بأحلامه وهواجسه وأفكاره. نعم قد تختلف الأولويات بين الناس لكنّني نذرت نفسي في سبيل الوطن. سأبقى وفيًا لأحلامي حتى أصل إلى تحقيق قناعاتي وطَموحاتي، وإلّا ما حسبت نفسي كائنًا لي حضوري في هذه الحياة.

بعد لحظات، حضرت «قدوة» تحمل بيدها فناجين القهوة والحلوى وكانت قد سمعت ضيفها في ما قاله، فاقتربت منه وقالت:

- يا بنّي، سأصلي لك من كلّ قلبي كي يحرسك الله، ولتكن لك ولأمثالك الفرصة للعمل في سبيل الوطن، لأنّ ما قلته جعلني أدمع فقد شعرت بالأمل يتدفق من سيل كلامك. كم أتمنّى أن ينعم أولادي بوطن مستقرّ وآمن يعيشون فيه بسلام واطمئنان! أقدر تفكيرك وأحلامك... عسى أن تنصفك الدنيا يا بني.

إرتشفوا القهوة جميعًا وتناولوا الحلوى والفاكهة، ودارت الأحاديث في ما بينهم ومرّ الوقت بسرعة كأنّهم عرفوا بعضهم منذ زمن. وكانت الجلسة عائلية بإمتياز فضحكوا وتصارحوا وتشاركوا.

وقف «طَموح» وعيناه تبرقان سعادةً وفرحًا:

- حان وقت الرحيل فقد تأخّر الوقت. إنّي اليوم أشعر بسعادة مفرطة فقد أضفت عائلة إلى عائلتي. شكرًا لكم على هذه الجلسة الكريمة، عـذرًا إن ضايقتكم بقول أو أزعجتكم بأمر. عرفتكم فأحببتكم أكثر.

ثمّ ردّ والد «جميلة»:

- أهلًا بك ساعة تشاء ضيفًا عزيزًا، فقد سكنْتَ قلوبنا، وكلامك سرى رقيقًا إلى عقولنا. لك كلّ التقدير والاحترام. عسى أن نراك مرةً أخرى.

ودّع «طَموح» أهل «جميلة» وتبعته الفتاة إلى الباب الخارجي، فوقفا جانبًا وكانت قد أبقته مفتوحًا قليلًا احترامًا لأهلها، وقالت:

- شكرًا لك على هذه الزيارة، شكرًا على كلّ ما قلته وقد يكون كلامي غير كاف، إنّك يا «طَموح» جعلتني أفتخر بانتقائي زملائي ورفاقي أمام أهلي. أثبتت لقلبي أنك نعم الاختيار... أحبك.

وانتهى اليوم وعاد كلّ منهما إلى غرفته يمنّي النفس بلقاء صباحي جديد. وتوالت الأيّام وبقي «طَموح» يتردّد على أهل «جميلة» وتوطدت العلاقة بينهم وكان كل يوم يمضي يكتب قصّة جديدة من قصص العشق الأزلية بين هذين الحبيبين...

وبعدما أنهى «طَموح» بنجاح سنيه في الجامعة انطلق نحو الحياة العملية. بعد أربع سنوات أمضاها في الجامعة يرافقه خلالها ابن عمّه وهو أكثر الاشخاص المؤتمنين والصادقين إلى جانبه، عاشا

الكثير من التجارب الكفيلة بخلق ثورة فكرية سلمية على الذات، خلعا الرداء الصغير القديم الذي ورثاه وتعلّماه منذ الطفولة ولبسا رداءً أكبر وأجمل، والتحفا الوطن ثوبًا فضفاضًا أنيقًا يتّسع لقناعات وأفكار جديدة تتقبّل الآخرين وكانا مؤمنَيْن أن هذا الوطن لا يُبنى إلّا بالوحدة الوطنية والتعايش المشترك. ثمّ انطلقا نحو ربوع الوطن حالمين طَموحين... لكن لا أحد منهما يستطيع الآن أن يدرك تحوّلات المستقبل...

تخرّج «طَموح» وجهزّ نفسه للانطلاق نحو الحياة العملية وهو يتحيّن فرصة تتناسب وأحلامَه الكبيرة.

حمل شهاداته وعلمه وما اكتسبه من مدرسة الحياة وتوجّه نحو سوق العمل، مفعمًا بالارادة والأمل. وكان يعوّل على كفاءاته العلمية وقدراته الفردية وايمانه الصادق في العدالة والمساواة والحرية...

لكن في هذا الوطن لا تجري الرياح السياسية بما تشتهي السفن الإنسانية. فأين قادت الرياح «طَموح» وفي أي مرفأ رست أحلامه؟

تقدّم «طَموح» بسيرته الذاتية لإحدى الشركات، وكانت هذه الشركة بحاجة إلى شباب متخرّجين حديثًا لتستثمر قدراتهم في رفع معدلات الربحية وتستفيد من حماسهم وكفاءاتهم...

بعد أشهر على تقديم الطلب، تلقّى «طَموح» مكالمة هاتفية من سيدة في قسم الموارد البشرية تبلغه بضرورة حضوره إلى الشركة لمقابلة المدير المسؤول، وستقرّر نتيجة المقابلة وأجواؤها مشاركته كمتدربٍ في الشركة براتب متواضع جدًا. فما كان منه إلا أن حضر الاجتماع مع مدير اسمه «مهم»، وتخطّى اللقاء بنجاح فتقرّر بعده بدء مزاولته العمل كمتدرّب لفترة معيّنة قبل الامتحانات المؤهّلة للتثبيت والارتباط بعقد عمل بدوام كامل مع الشركة.

أمضى «طَموح» الفترة التدريبية بأداء جيد، وقد قام بواجباته على أكمل وجه ومثّل شركته خير تمثيل. كان قريبًا من الناس المحيطين به، فكسب ثقة زملائه ومديريه، ونال إعجابهم وكانت نتائجه مرضية.

عمل متمسّكًا بمبدإ «أَحِبَّ ما تعمل حتّى تعمل ما تحبّ» (قول مقتبس من أقوال «ستيف جوبز»). كان دائم الابتسامة، متفائلا

ونشيطا، فما كان من الادارة الا أن رشّحته لامتحانات التثبيت، حتى يتقرّر بعدها توقيع عقد العمل. على الأقل هذا ما آمن به فكفاءته وعلمه ناهيك عن خبرته، حتى ولو كانت لفترة وجيزة، ستكون السبب في توظيفه وتوقيعه العقد. غير أنّ النتيجة لم تعكس ما توقّعه ذاك الشاب المتحرّر الطَموح.

في يوم الامتحان، كان «طَموح» يتوقّع أن يكرّم لا أن يُهان. وبعد أن قدّم امتحانه حضرت مسؤولة الموارد البشرية لتقدّم له طلبًا عليه أن يوقعه ويملأه ليضاف إلى ملفه، غير أنّه حين بدأ بقراءته أصابته الدهشة وظهرت على وجهه ملامح الانزعاج، فوقف متعجبًا وقال بنبرة غاضبة حادّة:

- أرفض أن أوقع على هذه الأوراق، فأقلّ ما يمكنني القول عنها إنّها رجعيّة تعصبيّة فئوية بل مذهبية بإمتياز.

وأصاب الذهول زملاءه، فتوقفوا عن الكتابة مستغربين متعجبين من ردة فعله...

- لماذا تتحدث هكذا أيها الشاب؟ ردت عليه المسؤولة...

فأكمل «طَموح» حديثه:

- كيف لكم أيّها المتعلمون والمحترفون أن تضعوا خاناتٍ للمذهب والطائفة لنملأها لكم فتبنوا عليها خياراتكم، هذه ثقافة رجعية ولا تكرس إلّا الانقسام. وستكون فرصتي في الحصول على الوظيفة أفضل من زميلي لو أن طائفتي أو مذهبي أكثر ملاءمة

حتى لو كان زميلي أكثر كفاءةً مني وأطول خبرةً. أنتم تقررون فرزنا في الوظيفة مناطقيًّا وطائفيًّا، والأخطر من ذلك مذهبيًّا. هذا الأداء الرجعيّ لا يشكل فقط خطرًا على الشركة إنما يطال تأثيره المجتمع والوطن على حدّ سواء. نحن موظفون وأبناء وطن واحد، وعلينا أن نعمل وفق ثقافةٍ توحّدنا ولا تفرّقنا وتذكّرنا باختلافنا لتؤجّج خلافنا. لهذا أنا أرفض قطعًا التوقيع، هذه الورقة تنسف كلّ مبادئي وقناعاتي في الحياة...

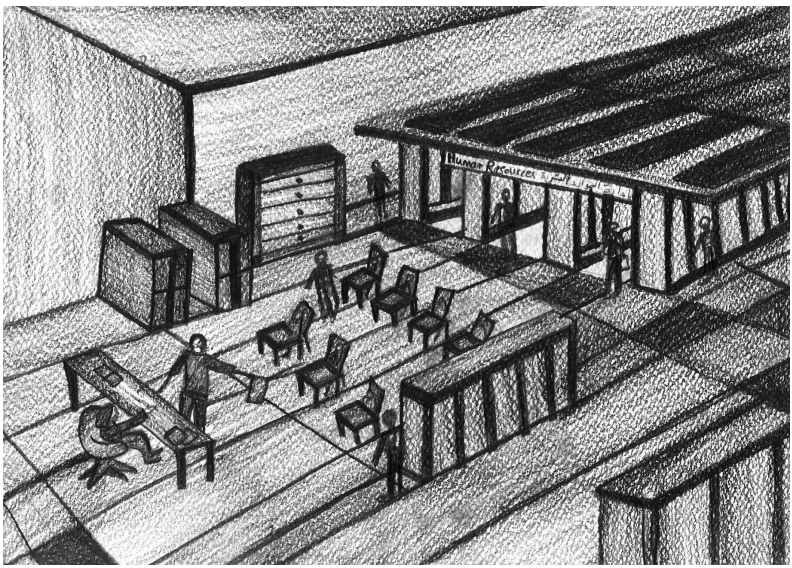

تعجّبت المسؤولة من ردّ «طَموح» ولم تستطع إيجاد إجابة مقنعة، حتى أنّها لم تذهب قطّ إلى هذا البعد في التفكير عما يحويه ذاك الطلب، فهي لها مجرد أوراق تشكّل طريق عبور

للحصول على لقمة العيش لا أكثر، وكأنّ تلك اللقمة صارت مبرّرًا لتغييب الحسّ الاجتماعي والوطني وتوجيه الاهتمام إلى المادّة فقط. وما زاد من حيرتها واستغرابها أنّ باقي المتبارين أيضًا عزفوا عن ملء تلك الخانات، وكأنّه كشف لهم المستور واتّضحت أمام أعينهم الامور فأيدّوه في ما قاله.

وما كان من المسؤولة الا أن رفعت هذه المشكلة إلى الإدارة، وطلبت من «طَموح» وزملائه أن ينتظروا النتيجة بعد أسبوع على الأقل...

خرج «طَموح» والحزن بادٍ في عينيه، فمعالم وجهه قادرة على شرح ما يجول في باله فقد وقَعَ في ما يخشاه. هو يطمح إلى العيش في بلد المساواة والحريات، لا بلد العصبيات والانقسامات فقد كان يخاف المستقبل وتبدّلاته، وتلك ليست الا إشارة وامضة لا تبشّر بأيام سليمة إنّما بدرب شائك لا يتمنّاه...

إنتظر «طَموح» أسبوعًا واثنين، لكن لم يهاتفه أحد أو يراسله. فما كان منه الا أن قرّر زيارة مديره السابق في الشركة عندما كان متدرّبًا فيها ليصارحه بما جرى ويسأله عن النتيجة، فهو يعلم أنّ أداءه كان مميّزا في الامتحان.

وصل إلى مكتب المدير فاستقبله بحفاوة، لأنّه يحترمه ويقدّره على أدائه وتفكيره، فخاطبه «طَموح» قائلًا:

- حضرة المدير، أتيت أستوضح وضعي وموقفي. اعتقدْتُ أن نتيجتي ستكون جيدة لأنني استطعت الإجابة عن معظم الأسئلة تقريبًا. وما زلت منتظرًا جوابكم لأكثر من أسبوعين. ولم يتصل أحد بي حتى الآن ليبلغني نتيجة رفضي أو قبولي.

- إذا كنْت واثقا من نفسك وممّا قدّمته، أستطيع سؤال القسم المكلّف بذلك الأمر، وسنرى ما سيقوله لنا.

إتّصل المدير «مُهم» بالقسم وما قام به فاجأ «طَموح» فقد استعمل مكبّر الصوت في هاتفه أثناء المخابرة ليؤكّد ثقته بموظّفه واهتمامه:

- يا صديقي، لدي موظف متدرّب قدم امتحانات توظيف منذ أسبوعين تقريبًا وأعتقد أنّ نتيجته جيدة فهل يمكنك أن تطلعني عليها؟

- ما اسم المتدرّب؟

- «طَموح»...

غاب صوت المتحدث عبر الهاتف قليلًا وعاد ليقول:

- يا مديرُ، قد يتقدّم لشركتنا موظفون بمستوى «طَموح» لكن بالتأكيد لن يأتي من يفوقه نتيجة وأداء، هذا الشاب قد حقّق نتيجة مميّزة وتخطّى التوقّعات.

- ممتاز... إذا ما العمل يا صديقي، ما هي آلية التوظيف وفي أي فرع سيلتحق؟

- سيّدي... أقولها بصراحة... لم تبقَ أمام «طَموح» إلا خطوة واحدة تكون كافية لتوظيفه، عليه أن يؤمّن اتصالًا من مرجعية أو زعيم أحد المديرين فيتمّ تعيينه مباشرة. إنّ جلّ ما عنيته أن يؤمّن هذا الشاب وساطة سياسيّة...

استغرب المدير ما سمعه فردّ مستغربًا:

- ألم تقل إنّه متفوّق في نتيجته فما حاجته إلى الوساطة؟ نحن نسعى إلى توظيفه، ألا يكفيه تفوّقه؟

- لكنّك تعلم واقع البلد فلا اعتراف هنا بمنطق الكفاءة والمساواة، أنظر إلى حالك وحالي ألا تذكر كيف توظّفنا وأيَّ أبواب قرعنا، وكم من أيدٍ توسّلنا... هكذا سيبقى الحال. الآن اعذرني فلدي لقاء مع موظّفين جدد، هل من خدمة أخرى؟

- شكرًا جزيلًا يا صديقي. قد صعقتني هذه الحالة صرت أشعر أنّ الحقيقية تصفعنا في كل يوم.

ثمّ أقفل الخط متجهّم الوجه لا يعلم ماذا يقول بعد أن قرأ في عيني «طَموح» خيبة الأمل والانزعاج...

- يعجز لساني عن البوح وكي أكون صادقا معك أنا لا أعلم حقيقةً ما سأقوله لك، ليتني لم أتّصل لأحصل على هذه الإجابة. لكن ألا تعرف أيّ وساطة سياسية معيّنة تستطيع بها دعم ملفك؟

- يا مدير قد عاهدت عقلي على الصدق في التفكير، ومرّنت نفسي حتى تنشد الحرية في كل موقف، فعقلي لا يرتضي طريق العبودية، لا لأني أعتبر نفسي أفضل من الآخرين أو لأنني أميزّ طريقي عن طريقهم، لكن آن لنا في هذا الوطن أن نثور على كلّ ما ورثناه من فشل في الاداء وتقاعس في الأنظمة وتطبيق القوانين، وعلينا تحرير عقولنا من الفكر التبعي والرجعي. كيف لي الذهاب وطلب وساطة في حين أن كفاءتي تميّزني. ألا أكون بذلك قد رهنت نفسي للمرجعية وسيكون الفضل حينها لمن سيوظّفني ويعيّنني؟ ناهيك عن أني سأمتنّ له كل العمر، ولن أستطيع انتقاده أو معارضته في حال أخطأ أو انتهج مبدأ لا يعكس قناعاتي. أنت تطلب مني أن أتغاضى عن مبادئي غير أنّي أفضل أن أعمل في غير وظيفة على رهن نفسي لأحد لأنني قد لا أملك بعدها قراري، وحرية التحرك في مساري. عذرًا يا مديري الكريم، أنا لا أستطيع أن أكون بيدقًا في لعبة الحياة وسيأتي

يوم بالتأكيد وتسحب الأنامل هذا البيدق خارج اللعبة فيوضع جانبا، لأنّ كلّ من يختار سوف يكون حتمًا صاحب القرار. والآن، اعذرني يجب أن أذهب.

وقف طموح وقبل أن يهم بالخروج من المكتب قال:

- لقمة العيش صعب منالها
فحـال الحرّيــة هي حالها
أزهق روحي برهـنها حتّى
لـو نـلت الـدنيا ومـالها.

وغادر المكان وقد اجتاحته مشاعر الغضب والانزعاج مما سمعه. ومرت فترة طويلة كان «طَموح» قد توقّف خلالها عن العمل كمتدرب، وبدأ يبحث عن عمل جدّي يلائم خبرته المتواضعة وشهاداته لكنّه لم يوفق...

ذات يوم شعرت الأم بالضيق والحزن على حال ولدها الطَموح، وخافت أن يصاب باليأس والاحباط. لهذا طلبت منه زيارة أحد الاشخاص المهمين المسؤولين لدى زعيمٍ ذي سلطة في البلد، وهذا شخص تعرفه العائلة، وقد يخدم قضيتهم فيساعد «طَموح» في الحصول على وظيفة. دخلت الوالدة الحنونة إلى غرفة ولدها فرأته ممدّدًا في فراشه حزينًا وقربه كتب وأوراق وأقلام مبعثرة من حوله، فقراءة كتب الفلسفة والتاريخ هوايته المفضلة، وكتابة الشعر والادب سلواه وملجأه.

إقتربت «حنونة» من ابنها وسألته:

- يا بني أريد أن أطلب منك أمرًا، فهل ستردني خائبة؟

- سامحك الله يا أماه... أيعقل أن أن أرفض طلبك؟

- إذًا أريد منك أن تقوم بزيارة أحد الاشخاص...

- وما هدف الزيارة، ومن ذاك الشخص؟

- إنه «متعالي»، المسؤول في مكتب الزعيم. لو أنّك تذهب لزيارته سيساعدك حتمًا في أمر توظيفك.

- يا أمي أنت تطلبين منّي سلوك طريق الذل والمهانة والسير عكس قناعاتي ومبادئي، فاستجداء الوساطة من المسؤولين والزعماء أمر مرفوض. من يتوسّط لي كي أنال وظيفة يملكني وسأبقى مدينًا له ما حييت. لماذا علي رهن نفسي لذاك المسؤول أو غيره في حين أن كفاءتي وثقافتي يجب أن تكونا المعيار الحقيقي لحصولي على عمل محترم.

- يا بني، أحيانا على الانسان تقديم بعض التنازلات لتحقيق أهدافه ومآربه.

- تقولين تنازلات... إن هذه التنازلات هي التي جعلت الناس سجناء في أقفاص العبودية والرجعية. هي رصاصة قتلت الحرية في النفوس وساهمت في تحريف القوانين والنصوص...

- إذًا تريد أن تبقى على حالك هذه عازفًا عن العمل تعيش على أمل يخبو نوره في كل يوم، إنّ رؤيتك على هذه الحال تدمي قلبي. أرجوك أطِعْني هذه المرة...

ودمعت عينا والدته فأحسّ بقلبه يرتجف وانهار جبل عناده...

- سأفعل ما تطلبين يا أمي. لكن تأكّدي أنّي لست مقتنعا... سأقوم بالزيارة إرضاءً لك فقط، لعلّ النتيجة تكون بما يناسبك...

في الصباح، نهض «طَموح» عازمًا على زيارة ذاك المتعالي محقّقًا بذلك رغبة والدته. حمل سيرته الذاتية وشهاداته وتوجّه نحو مكتب

المسؤول في العاصمة. بعد وصوله طلب أن يقابله، إنتظر فترة، ودخل مكتبًا كبيرًا تفصل مسافة طويلة بين بابه ومكتب صاحبه، تتوسطه طاولة كبيرة للاجتماعات مع تماثيل وتحف في الزوايا، وأكثر ما شدّ انتباهه في الغرفة صورة «الزعيم» المعلّقة خلف ذاك المسؤول وقد ارتدى بذةً سوداء.

رأى المسؤول وهو يقلّب بين أنامله «سيجاره» علامة رخاء وتشاوف، وما صدمه حين دخوله أنّ «متعالي» لم ينهض عن كرسيه إنّما أبقى قدميه مرفوعتين على مكتبه الخشبي العريق، يمناه فوق يسراه، وأشار إلى «طَموح» بطرف أصابعه طالبًا منه اتخاذ مجلس في جواره...

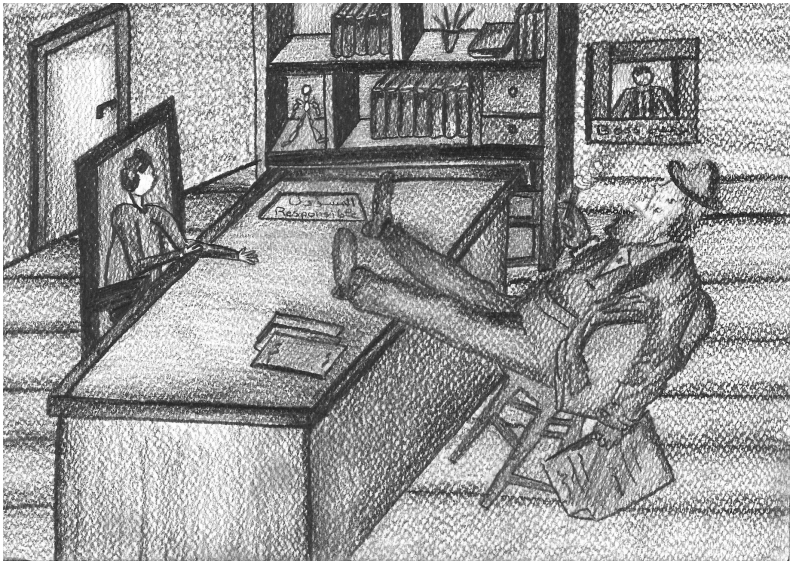

- أخبرني أيها الشاب بماذا أستطيع خدمتك؟

تردّد «طَموح» في الردّ وتأنّى في الإجابة قليلا بعدما سافرت عيناه في أرجاء الغرفة مقارنًا بين حياة المسؤول في نمط عيشه وحياة مناصريه ومؤيديه قبل معارضيه من عامة الناس.

- يا حضرة المسؤول «متعالي»، هل لي أن أسألك عن رأيك في بعض الأمور؟ فقد علمت عنك صواب الرأي والحكمة، وكم أحبّذ أن أستقي بعضًا مما تحمله من ثقافة ومعرفة.

أصابت كلمات «طَموح» المسؤول بالغرور فشمخ على كرسيه ورفع رأسه ونفخ دخان سيجاره الفاخر، وقال:

- تفضل يا بنيّ... إسأل ما تشاء. نحن لبسنا عباءة المعرفة لننير دربكم ونرشدكم في حياتكم ونرفع مستوى معرفتكم، فنصون حقوقكم عندما تؤدّون تجاهنا وتجاه الدولة واجباتكم.

علت بسمة خفية ساخرة وجه «طَموح» وامتعض مما سمعه لكنه فضّل أن يستطرد بفكرته عازفًا عن السبب الرئيسي لزيارته، وقررّ أن يثبت على قناعاته ومبادئه من خلال إظهار حقيقة المسؤول لنفسه. فمن المؤكد أنّ هذا الأخير لم يرَ يومًا حقيقة وجهه في مرآة اجتماعية، فقرّر أن يكون هو مرآته، وقال له:

- يا حضرة المسؤول، ما مفهومك للوطنية، وكيف يمكن لكل أفراد المجتمع أن يكونوا وطنيين وللدولة الموحدة منتمين، في ظلّ وجود انقسامات مذهبية وطائفية وتبعية زعامات ورجعية مستشرسة؟

كيف لموظف مسؤول أن يعلن انتماءه لزعيمه أو رئيس حزبه قبل وطنه، وهو من يملك القرار ويحدّد المسار، يتفرد برأيه ولا يؤمن بالحوار؟

هل لي أن أسألك عن رأيك في الديمقراطية، هل ترى أنّها تطبق بحرية، وما رأيك في الفساد والهدر العام؟ ففي حال اتفق الزعماء والمسؤولون جميعهم وتقاسموا نعمة فسادهم في ما بينهم، وأردنا محاسبتهم فكيف تكون آلية ذلك؟ وما حال الشعب وقتها ومن سيحاكم الفاسدين والسياسيّن المنافقين؟

ما حاجتنا للكفاءة والخبرة في الحياة العملية، في حين أنّه عند غالب الناس تكون التبعيّة معيار توظيفهم؟ هل تستطيع أن تقنعني بمستقبل سليم معافى وحياة آمنة ومستقرة للجميع، وأنّه لن تكون الغلبة لبعضهم على بعضهم الآخر؟

ما رأيك في دور الاحزاب على ساحة الوطن، هل ترى طريقها طريق وعي وفكر ومبادىء أو طريق التزام بشخص القائد والزعيم؟

ما رأيك لو أنّ ولدَك أو أخاك شابٌ ناجح متفوّق حصّل شهادات وخبرة غير أنّه لا يستطيع العمل إلا إذا استطاع تأمين وساطة من زعيم أو مرجعية، فماذا سيكون شعورك؟ هل يمكنك شرح موقفك وردةّ فعلك؟

ختامًا، يقتلني فضولي لمعرفة اختصاصك ومن أيِّ جامعة نلت شهاداتك، فكثيرون يعتبرونك قدوة لهم.

وقف المسؤول عاجزًا أمام تساؤلات «طَموح» وشعر أنّه لا يملك إجابة عن كلّ تلك الأسئلة. فبعضها وإن كان حقيقية قد يشكّك في أحقّيته في منصبه وحتى في صواب وجوده. لهذا فضّل أن يتهرّب من ذاك الحوار المحرج بطريقة لا يظهر فيها ضعفه أو خشيته من الإجابة. فما كان منه إلّا أن نظر إلى ساعته وقال:

- يا بني، تذكرت أنّ لدي اجتماعًا هامًّا، فقل لي ما هو طلبك ولماذا أتيتني زائرًا؟ دعنا نتحدث لاحقًا في الحياة الاجتماعية والسياسية.

- لا هدف لزيارتي إنّما جئت لطرح هذه الأسئلة فأنا في حيرة من أمري، ولا أجد مبررًا أو إجابة شافية للحال التي نعيشها. لهذا خطر لي أن أسأل أحد المسؤولين الناجحين كحضرتكم إذ أعتبركم أحد أهم الاشخاص الذين حقّقوا طَموحاتهم لكنني لم أعرف كيف السبيل إلى ذلك، حالي هو حال الكثيرين.

فما كان من المسؤول إلا أن حاول التهرّب مجدّدًا من تلك المسألة الشائكة ومن ذلك الموقف الغريب، فسأل «طَموح»:

- ألا تريد أي خدمة أو مساعدة أو وساطة في أمرٍ ما، فنحن لنا كلمتنا وهيبتنا في البلد وعائلتك محسوبة علينا...

إستفزّه كلام المسؤول فقد تطاول بكلامه على عائلته، فوقف قائلا:

- يا حضرة المسؤول «متعالي»، لا أريد شيئًا منك. فما تعودت أن أرهن نفسي لأحد مقابل أمر ما. سأفعل ما في وسعي كيلا تُحسب

عائلتي على أحد. نحن أناس أحرار ننتمي إلى وطن لا إلى مجموعة، نحن أحرارٌ بفكرنا وعقيدتنا ولسنا أناسًا تبعيين أو رجعيين. أنا أؤمن بأنّ من ارتضى لنفسه الذلّ حتى يحقق مآربه لن نسير على دربه حتى ولو أصبح مسؤولًا ذا شأن.

عندها رمى المسؤول سيجاره بقوة، ووقف مذهولًا، وتوجّه بعدائية نحو ضيفه قائلًا:

- كأنني أستشفّ منك التحقير والإهانة! إنتبه يا ولد! أنت تقف أمام مسؤول إئتمنه الزعيم على مشروعه...

- إني عالم بالأمر، وأعلم أيضا ما فوّضك به الزعيم، فهو من أجلسك على كرسيك الجلدي الفاخر في مكتبك في قلب العاصمة، كما أنه هو مَن سمح لك بحمل سيجار ثمين في حين أنّ كثيرين ممن يؤيدونه لا يملكون ثمن رغيف يكفيهم يومهم. وأعلم أنّ انتماءك هو لزعيمك لا لدولتك. أنت لست بحالمٍ بالوطن، إنّما أنت أشبه بمذياع يردّد أفكار الزعيم، تطلقها صدى يتردد لتشرع وجودك واستمراريتك في موقعك انطلاقًا من تبعيتك والتزامك به. هنيئًا لك بنجاحك إن كنت تطلق على هذه الحياة صفة النجاح.

صرخ المسؤول في وجه «طَموح» وقد احتقن غضبًا:

- أخرج من مكتبي في الحال! أمثالك لا يستحقون أن أستقبلهم هنا! إنّك من عامة الناس أمّا أنا فقد علا شأني فوق هاماتكم وسأجعلك تندم على ما قلته.

- تذكّر يا حضرة المسؤول، إنَّ عامة الناس الذين لا تحترمهم وتميّز نفسك عنهم هم ناخبوك، هم من يفدونك وزعيمك بأرواحهم. إنّ خيانة الشعب هي الخيانة العظمى، أنتم تلتفتون إلى مصالحكم الخاصة، وتسعون إلى بسط نفوذكم لزيادة ثرواتكم. إنكم تنسون أو تتناسون مصلحة الدولة والوطن.

فإن كنت تعتبر نفسك مسؤولًا فأنا أراك رجلًا تبعيًّا مهزومًا، وأريد أن أشكرك لأنك الآن خلقت فيّي روح التحدي. فإن كنّا، نحن الشباب، لا نقدر على التغيير أو التحسين في أسفل الهرم، فما تركتم فرصة لنا الا ان نواجهكم في رأسه لنصحح ما أفسدتموه ونعيد الوطن إلى مساره السليم.

لهذا لن نتقدّم بعد الان إلى وظيفة خاصة، صارت وجهتنا الوظيفة العامة. إننا سنواجهكم في ملاعبكم وسنسحب منكم مراكزكم، فقد حان زمن المحاسبة.

- أخرج من مكتبي...

فالتفت إليه طموح وتفرّست عيناه في المسؤول وقال له:

- أنت تخال نفسك مسؤولا

ولمآسي شعبي تعطي الحلول

مـا عـرفتك إلا مـتعاليًا

بأشباهك الوطن حتمًا خجولا.

خرج «طَموح» من مكتب «متعالي» وهمّ عائدًا نحو البيت وفي قلبه غضب عارم. يمشي متسائلًا عن عيشه في وطنٍ فيه مسؤولون كذاك المتعالي. طبقة حاكمة اتّفقت على عدم الاتفاق، كلّهم يسعون لكي يفرزوا الناس في فئات وجماعات، فيسهل عليهم حكمهم وإدارة أمورهم، لا وجود للمبادرة الفردية والكفاءة والحرية. كلّ شي مقيّد. الشعب أصبح مسيّرًا لا مخيّرًا في واقعه السياسي الاجتماعي.

فكّر «طَموح» للحظات، وسأل نفسه كيف له أن يحيا في وطن مشابه، فهل يهاجر؟ قطعًا لا، وهو من يعشق الوطن حتى الصميم. هل يسلِّم برأيه وفكره لإحدى القيادات والزعامات فيكون مصيره الاستقرار في حياة يعيشها مسلوب القرار؟ قطعًا لا!

إذًا، ما العمل في زمن اللاعمل؟

عندها خطرت لباله فكرة، للوهلة الاولى حسبها ضربًا من الجنون، لكنه عاد وفكّر فيها مراتٍ عدّة فزاد اقتناعه بها.

فإذا كان طريق التغيّير في بلدان العالم يبدأ من قاعدة الهرم، إذًا لن يكون هنا إلّا من رأس الهرم في بلد يعبث فيه الفساد والانقسام واللانظام. وهكذا قرر «طَموح» دخول معترك الحياة السياسية.

أيقن «طَموح» أنّ خلاص أفكاره وهواجسه يكون بالطريقة المثلى لإيصال صوته إلى أكبر عدد ممكن من المواطنين. وهذه الطريقة أو الوسيلة يجب أن تتخطى العائلة والقرية وحتى الطائفة لتكون على مستوى الوطن أجمع. فما العمل في وجود سلطة فاسدة وزعماء وقياديّين اتفقوا على تقسيم البلد وتداول السلطة في ما بينهم، وحماية عروشهم ومصالحهم الخاصة على حساب الشعب والمصلحة العامة؟ لا وسيلة للتغييّر إلا بقضِّ مضاجعهم وإقلاقهم في مراكزهم، فإذا كانوا لا يريدون أن ينزلوا إلى مستوى الشعب فعلى الشعب إذا أن يفوقهم مستوى. ولو كانت التضحيات جسيمة فإن مجرّد المحاولة فقط تساهم في إيقاظ الغافلين والخائفين وتعطي الأمل بغدٍ أفضل. وعلى هذا الأساس قرّر الترشح للانتخابات النيابية ممثلًا الشعب في المجلس. و«طَموح» يعلم أنّ هذا الدرب شائك وصعب، درب غامض مجهول النتائج. فأسئلة كثيرة راودته: «كيف سيتلقف مجتمعه هذه المبادرة؟»، «هل سيتعاملون معها بجديّة أم سيعتبرونها مهاترة؟»، «وكيف سيكون موقف الأقارب قبل الآخرين؟

فهل سيكونون مؤيدين وداعمين تلك الخطوة أم رافضين لها؟»... وغيرها من الأسئلة التي ما فتئت تضجّ في ذهنه. لكنّه صمم على السير في خطواته لعلّه يحقّق هدفه ما دام حلمه صادقًا وطنيًا.

قررّ «طَموح» أن يطلع ابن عمّه حتّى يأخذ بمشورته. زاره في أحد الايام ليفاتحه بالامر، فرأى «شجاع» في عينيه كلامًا جديدًا وحاول أن يقرأ أفكاره:

- يا ابن عمي، إن كنّا ترافقنا طوال حياتنا وتشاركنا الهموم والأفكار، فقد أصبحت أقوى على قراءة بريق عينيك عندما تتحدث بما يضجّ في عقلك من خواطر. أخبرني يا ابن عميّ، ماذا يجول في ذهنك؟ صارحني!

- يا شجاع، لماذا على الشباب أمثالنا، ممّن اجتهد وتعلّم، أن يخسر في وطنه المبادرة ليصبح حلمه المغادرة؟ لماذا علينا أن نفقد أمل التغيير والتجديد في وطننا، ولماذا علينا أن نرحل ونترك البلد لمصارعين يتفقون على جولات الربح والخسارة ويجعلون منا متفرجين أحباء تارة ومتخاصمين طورًا؟

حتى إذا سلّمنا بعدم مغادرتنا، لماذا يفرضون علينا فكرة المحسوبيات وضرورة وجود المرجعيات لضمان السلم والسلام في هذه الحياة في حين أنه يمكننا الاستعاضة عن كلّ هذا بدولة قوية ودولة مؤسسات؟ لماذا الشعب مغلوب على أمره فيُسيَّر ولا يُخيَّر؟ لماذا القمع؟ لماذا

الفساد؟ أين نحن من خطابات الشرذمة والانقسام في البلاد، وأين هم من العدل والمساواة ومن طرح الحلول للأزمات؟ أين دور الشباب في تحريك عجلة الوطن، وأين نحن من الوراثة السياسية؟ من قال إنّ السياسة لأهل المال والأعمال. كيف لأناس لم يشعروا بالفقر يومًا أن يكافحوه؟ كيف لهم أن يؤمّنوا فرص العمل وهم لم يعملوا ليتعلموا وكيف لهم أن يؤمنوا بالكفاءة معيارًا وهم من جعلوا الوساطة محور حياتهم؟...

- توقف... توقف يا صديقي قليلًا. يصيبني الهلع والقلق عندما يتراءى لي ذلك البريق في عينيك، فهما تتقدان حماسة، لا تقل لي إنك ستقدم على ما أفكّر فيه!

-لم تفاجئني يا ابن عمي بقراءتك السليمة لأفكاري، قد اتخذت قراري. أرغب في أن أمثل الشعب وأن انطلق منه وأعمل له وأعود إليه. واجهت ما واجهت من نفوس غارقة في التعصب والطائفية، وشركات تتآكلها الوساطات والمحسوبيات، ودوائر هشّة يعيث فيها الفساد. فإلى أين... إلى أين نحن ذاهبون؟ إننا نعيش ظرفًا أقل ما يقال فيه أنّه سيّئ والقادم حتمًا سيكون أسوأ.

نعم، قررت أن أرفع الصوت وأن أواجه باسم الحرية والديمقراطية وأتخطى الحواجز المذهبية لأعبَر سجنَ الطوائِفِ إلى وطن الانسان. لن أقبل أن أورث أبنائي وأحفادي ما ورثته عن آبائي وأجدادي. لن أقبل أن تعيش الأجيال اللاحقة ما نعيشه ونقاسيه في سعينا إلى

وطن واحد موحّد. لهذا سأكسر حاجز الخوف حتى لو خاطرت بنفسي.

- ما أروعـه هذا الحماس الـذي ألتمسه في صوتك المجبول بالوطنية! مدهش ما تحلم به وتفكر فيه، لكنه شبه معجزة وأمرٌ مثاليٌ يستحيل أمام واقعنا المرير.

- يا ابن عمي، لا شيء مستحيل! سوف يتكسّر الصلب تحت ضربات مطرقة العزيمة.

- لكن يا ابن عمي...

- يا «شجاع» أتفهم خوفك عليَّ، وأعلم أنّك صادق في أفكارك ونواياك، فما قيمة الحياة إن عشت فيها مهزومًا مسلوب القرار والخيار؟ قد تبقى أفكارنا سجينة العقول. لماذا نحيا في هذه الدنيا إن كنّا سنحياها خلافًا لقناعاتنا وطَموحاتنا؟ نتوارث توجهاتنا، تُكتَبُ على جباهنا طائفتنا ولا مساحة لخياراتنا. هو قدرٌ لا بد منه. نحن اليوم نسعى إلى فرصة في وظيفة ولكن مهما سعينا لن ننالها من دون وساطة سخيفة. أين الكفاءة ومعيارها؟ أرشدني إلى مسارها! واقعنا مرير أليم لكننا بين خيارين، إمّا أن نستسلم وننكفئ ونرضى العيش مذلولين مقهورين، وهذا ما لن أقنع به أبدا، وإما أن نتحرك وندفع بعجلة التغيير والتجديد والتصحيح في الوطن لبناء دولة قادرة مستقرة عادلة، دولة من الجميع وللجميع، دولة مؤسسات وحريات. هذا هو حلمي وهذا ما سوف أصبو إليه وأنشده بين الناس...

- رائعٌ ما تحدثت به، قد أشعلت الحماسة في قلبي. لكن أخبرني ما خطتك؟ هل تتوقع أن يتقبّلك الناس ويؤمنوا بك وبرسالتك الوطنية؟

- من يعِش على التوقعات يتقهقر في حياته ولن يحصد ثمار أحلامه.

- عرفتك حكيمًا عنيدًا وأنا على ثقة أنني لن استطيع أن أبدّل قرارك أو أعدل فيه. جلّ ما أستطيع قوله لك إنني إلى جانبك يا رفيق الدرب ومعك في كل مواقفك وسأساعدك على تحقيق حلمك. حلمك تعيشه للوطن وليس لذاتك.

- ما خيبت ظنّي قطّ. أنت، كما عرفتك، وفيّ دائمًا. نحن علينا الحلم والسعي وتبقى للقدر الكلمة الحقّ.

وبعد ابن عمّه، استشار «طَموح» الأهل والأقارب فلم يحصد الا الخوف واليأس من أناس يعتبر أنه يناضل في سبيلهم. لكنّه لم ييأس، فالنجاح هو أن يمرّ من فشل إلى آخر من دون أن يفقد حماسته، لقد قرّر المثابرة وحاول إقناعهم بتسطير أفكاره على ورقٍ بحبر أقلامه، ورفع الصوت في منابر مجالسه، ومع الوقت استطاع أن يكسب احترام من سمعه وتأييد من رافقه وقرأه، فخاض امتحانه الأصعب.

ترشحّ للانتخابات وأتت النتيجة عكس كلّ التوقعات لأنّ الشعب قال كلمته واقترع في الصندوق لمن استلّ سيف الحرية والتجديد في الصراع، فكانت النتيجة تفوُّقَ «طَموح» على الواقع المرير، فحمل الشاب الوطني مشعل التغيير أمانةً في وطنه.

وكان للشعب قراره الحكيم...

دخل «طَموح» السُدة البرلمانية بنجاح عظيم، بنجاح الأمل والحلم، وبعد أن حمل مشعل الحرية والديمقراطية سعى إلى توثيق الوحدة الوطنية بالعمل والفكر، فقد سلّمه الشعب أمانة تمثيله في البرلمان ليتحدث باسمه ويساهم في تشريع القوانين ويطالب بحقوقه وينصر قضاياه. تحدّث في خطابه البرلماني الأوّل عن شعبٍ عظيم، قاسى الكثير وعاش صعوبة المصير. مرت عليه حروب، عاش استعمارًا واحتلالًا من كلّ صوب. عاش فتـنًا وشرذمة دين، وكان عاجزًا في الاقتصاد. ومع هذا كلّه، صمد وصبر، عشق الحياة وناضل في سبيلها. الدولة غائبة والناس نيام، تعبوا من النضال والقتال، يئسوا من الأوضاع والاحوال، ولكن الحال تبدلت وستتبدل نحو الافضل، وجاءت صرخته مدويّة حين ردّد بصوت حماسي:

- لك مني يا شعب تحيّة
فروحي فداء الديمقرطية
حمّلتني في تمثيلك أمانة
فاقبل الوفاء منّي هدّية.

قالوا إنّ لا أمل يُرجى، قالوا إنّ التغيير مستحيل. غير أنّ وجودي اليوم هنا أكبر دليلٍ على إرادة الشعب في التحرر من الرجعيّة والتبعية، انتخبت مستقلًا وممثلًا لهم فصرت أملًا وللأبناء الطامحين حلمًا. أعد الناس من موقعي هذا، أن أكون وطنيًّا على قدر المواطنة، لن أفرق طائفيًّا ولا مذهبيًا بين فردٍ وآخر، سأكون ممثلًا للأمة جمعاء، لا لمنطقةٍ أو جماعةٍ معينّة، سأطبّق الدستور وأقوم بواجبي التشريعي كاملًا، لن أوافق على قوانين هشّة تضرّ بالدولة ومصالحها ومؤسساتها. سأصادق وأعطي الثقة لكلّ ما يصبّ في مصلحة الوطن والمواطنين. لا للشعارات وإطلاق النظريات، نعم للبرامج والعمل. قد تعب الشعب من سماع الوعود، ورؤية فشل السياسيين في تنفيذ العهود. لهذا لن أعد بما لا أقدر على إنجازه، سأصارح الناس دوما بالحقيقة.

فحقيقة صعبةٌ في رأيي، أفضل من كذِبٍ مهدّئ يُظهرُ ألـمًا مبرحًا بعد زوال مفعوله. فلنتّجه نحو وطن أكثره شباب نابض بالحياة وأكثره راغب في التحرر، فلنخطُ معًا نحو التجديد والتصحيح، نحو الوطن الحلم.

وأنهى «طَموح» خطابه الأول بكل مصداقية وكان مفعمًا بالوطنية، ثمّ بدأ حياته السياسيّة نائبًا مناضلًا نشيطًا، رافعًا رايةَ العدل والمساواة، عاملًا في سبيل دولة المؤسسات، ينتقد المخطئين ويواجه الظالمين والفاسدين، يدعم الناجحين والمحقّين، فكان بحق

خير ممثل، أحبّه الشعب ودعمه. وللزمن وقفاته الثابتة فطَموح جمع حوله الحلفاء والأصدقاء الذين وافقوه ودعموه في خطّه ومساره، لكن كان له أيضًا أعداء انزعجوا من جرأته وشجاعته ومناقبيته، لأنّه لاحق فسادهم وكشف للناس كذبهم وألاعيبهم.

في عطلة نهاية الاسبوع زار «طَموح» قريته وأهله...

ليلًا أسرعت الأم في دخول غرفة ابنها بعدما سمعت صوته مرّاتٍ عدة يعلو متقطعا، غير واضح في ما يردّده، فرأته يتخبط في فراشه، يتقلّب من جهةٍ إلى أخرى وهو يتصبب عرقًا وإذا بها تتفاجأ حين تسمعه يردّد: «وطني... هذا وطني... أخاف على وطني»، وغيرها من الكلمات المتلاحقة المبعثرة غير المفهومة، فأدركت أنّ كابوسًا يراوده. جلست قربه دامعةً وأمسكت بيديه وأيقظته وهي تهمس له برقّة صوتها:

- يا بني، يا فلذة كبدي... أصحُ من نومك العميق فأنت غارق في الكوابيس. ومرّرت يدها مداعبة خديه، ثمّ مسحت جبينه وقبلته.

صحا «طَموح» ووجه أمّه يغمره بحنان، وكأنّ نور قداسة توهّج في عينيها فنظر إليها ووالرموش تتلهّف للعناق:

- أمّي ما أجمل أن ينتهي كابوسي حين سمعت صوتك الحنون، أتمنى لحظة عبوري إلى دنيا الفناء والسكون، أن أنام وصورة وجهك الملائكي ملء عينيّ والجفون.

- أخاف عليك يا ولدي، أخاف أن أخسرك فيخسرك الوطن، حتى في كابوسك تدافع عنه! هنيئا له بك مواطنًا وهنيئا لنا بك فردًا في هذه العائلة، أنت الأمل الصادق، حماك الله يا أغلى الغوالي.

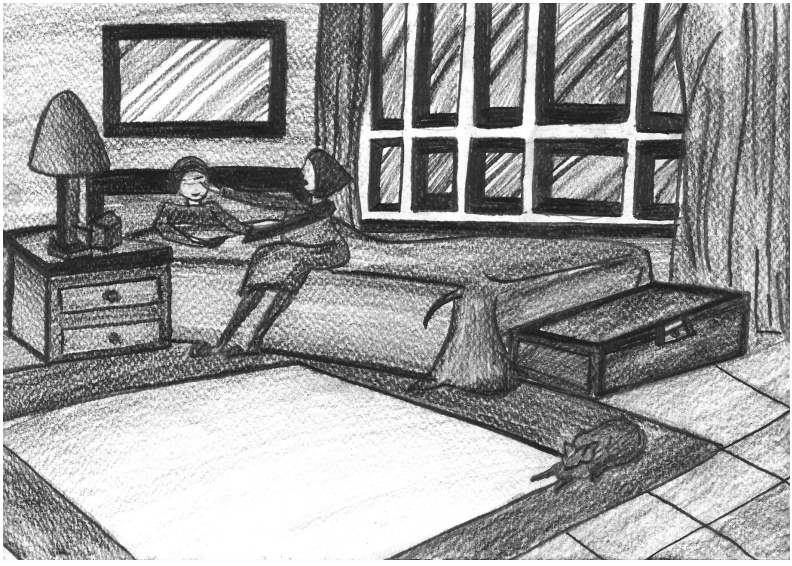

وضمّ «طَموح» والدته إلى صدره وحبس دموعه:

- إسمعيني يا أمي... كلّ ما في هذه الدنيا له بداية ونهاية، فللموت حق علينا وأنا لا أخافه. هو عندي مجرّد فكرة لا أكثر، فروحي أمانة من الله وعندما يطلبها سأكون جاهزًا لتسليمها. قد رزقني الكثير من نعمه وحقّق لي أكثر ما تمنيّت، حظيت بأروع عائلة وأجمل بيت، فلماذا على الانسان الخوف والامتعاض من فكرة الرحيل؟

- لا أريد سماع هذه الكلمات منك، إنها تمزّق أحشائي وتشعرني

بالخوف، إن أردت موتي قل كلمة بعد. إنهض الآن من سريرك، فاليوم سيأتي الاقارب راغبين في رؤيتك، هم مشتاقون إليك، يتمنّون مجالستك. هيّا، إنهض.

خرجت الوالدة من الغرفة ماسحة دموعها كيلا تبث القلق في نفوس باقي أفراد العائلة، فقد اعتاد الجميع صبرها على الهموم والمآسي، وكانت خير مدبّر للحلول.

أمّا «طَموح» فنهض من سريره واتّكأ على حافته، أغمض عينيه براحة يديه، وتمتم بصوت خافت كأنّه يخاطب قدره:

- اللّهم، أشكرك على ما أريتني إيّاه، قد فهمت رسالتك، أنا أقدّم لك امتناني، وصرت جاهزًا روحًا وجسدًا، وأتمنى أن تكون إلى جانب عائلتي وتساعدهم على الصبر وتحمّل الصعاب...

في ذاك اليوم، حضر الأقارب ولفيف من الاصدقاء إلى منزل العائلة، وتناقشوا مع «طَموح» في الأمور السياسية والاجتماعية، غير أنّ ما دفع الجميع إلى الاستغراب، وعلى غير عادة، كثرة اهتمامه وانشغاله بالأمور العائلية فها هو يسأل عن صحة الكبار وراحة بالهم، ويسأل عن النجاح لدى الصغار. كان مبتسمًا دائما وناصحًا الجميع مستمعًا إليهم باهتمام كأنه لن يراهم مرةً أخرى، فقد بحث في كلّ التفاصيل الدقيقة عن حياتهم اليومية.

وبعد يوم عائلي حيوي وغداء جامع، تخللت اللقاءات لحظات فرح حين شاركهم «طَموح» في التصفيق تارةً والغناء طورًا، وكاد للحظات أن ينسى عمله ومركزه مع أهله وأحبّته، وجلسوا بعدها

جميعا على الشرفة لإرتشاف القهوة وأكل ما لذّ وطاب من الفاكهة. أشرفت الشمس على الغروب فوق البحر متّكئـةً على أمواجه وكأنّها أبت الرحيل، أبت أن تودّع هذا البيت الاصيل...

وفي الجلسة، جلس الخال «وفي» مجاورًا «طَموح» وقد كان أشدّهم تقرّبًا منه إذ اهتم لأمره كثيرا وغالبًا ما وقف إلى جانبه وعائلته:

- «طَموح»، أراك مشتت الافكار قلقًا اليوم، هل من جديد طارئ؟ أيمكننا أن نساعدك؟ فأنت ما بخلت يومًا في المساعدة.

- لا شيء يقلقني إنّما الوطن يؤرّقني، فظروف الناس صعبة وقاسية، وأمامنا مشوار طويل لبناء دولة المؤسسات ودولة الحريات، فهناك كثيرون يخافون على مصالحهم الخاصة وينسوَن أو يتناسون مصلحة الدولة، ولذلك تراني أوجّه الانتقاد السياسي لبعض الزعماء والقادة الذين ساهموا في إغراق سفينة الوطن بحروب داخلية وتبعية اقليمية وعالمية خارجية، ولم يكافحوا قطّ الفساد في البلاد لكنّهم غرقوا في وحوله.

- أحسنت صنيعًا يا ابن أختي، أوافقك في مقاربتك للأمور، وأنا مدرك صدق انتمائك وحسك الوطني، ونحن نتشرف جميعًا أن نشاركك هذا النهج، لكن ألا يشكّل هذا الموقف خطرا عليك في بلد لا مجال فيه للرأي الآخر، إنّهم جميعًا لا يؤمنون بلغة الحوار ويعتبرون من يخالفهم في آرائهم عدوّهم حتى ولو كان من أهل وطنهم ودارهم...

ثمّ تدخّل والد «طَموح» معقّبًا على كلام «وفي»:

- هذا ما كنت أردّده لك دائمًا، إنّ السياسة في وطننا خطرة وثوبها لا يلائمنا، وها أنت اليوم سياسيّ نائب تمثّل الشعب تواجه وتحارب وتقلق. أخبرنا أيّ فائدة تُرجى من السياسة؟ لماذا لا نكون مجرد عائلة عادية؟ إنك لم تتزوج، لأنك ما ملكت الوقت ولم تعر المسألة أي اهتمام، خطفك الوطن منّا، ألا يحقّ لنا أن نرى أولادك، ألن تسعدنا بأحفاد؟

هزّ الجميع رؤوسهم تأييدًا لما قاله رب البيت ما عدا «حرية»، شقيقة «طَموح» التي زادت في مدح أخيها:

- لكلّ منّا حرية التفكير والاعتقاد، والناس أجناس يا والدي، فلو كانت للجميع طريقة تفكير واحدة لما كانت الحياة أدوار ولما تطورت أصلًا.

أنا أعلم أنّ أخي مقتنع بنهجه وهذا ما أراه في عينيه، ومن خلال محبيه ومؤيديه، فلو لم يكن صادقًا لما رافقه الكثيرون وكثر مؤيدوه، فما الضير في أن ينذر نفسه لوطنه ومجتمعه، فعوض أن نرى في هذا الأمر تقصيرًا، علينا أن نراه نجاحًا وتميزًا وأصالة.

واقتربت من أخيها واحتضنته قائلة:

- فليشهد الجميع أنّ هذا الشاب سيكون علامة فارقة في الوطن ورسالة صادقة تكون مرجعًا في الوطنية، وسيكون وسام

شرف وعزة وفخر لعائلته وسيتناقل اسمه أولادنا وأحفادنا. لقد رفع رايتنا عاليًا وصان الأمانة.

أحسّ «طَموح» بعزة تجتاحه ووقف ثمّ قبّل جبين أخته وهمّ بالرحيل...

وأحست أمّه أنّ في صدر ابنها عبئًا يرزح تحت ثقله فلم تتردّد في طرح سؤالها عليه:

- ما بالك يا بني، هل أزعجك حديث خالك وأبيك؟ هما إن تحدثا قصدا مصارحتك لأنهما يخافان عليك.

- أمي، هل يمكن لإنسان أن ينزعج من عطفهما. أنتم جميعًا كالنفس والروح في الجسد. لن يزعجني يومًا من ربّاني، ووقف إلى جانبي في طفولتي وشبابي، وقدّم لي الكثير من الحنان والتقدير، أعذروني قد استجدّت علي زيارة واجب علي أن أقوم بها.

- ماذا عن العشاء الليلة، أترغب في أن ننتظرك؟

- لا يا أمي، العشاء لن يكون من نصيبي هذه الليلة، يعزّ علي أن أفارقكم ولا زلت أختزن في صدري كلامًا أحبّ أن أشارككم به، للحياة أسرارها وألغازها، أتعلمون... حتى لو صادفنا بحياتنا من لا يؤمن بلغة النقاش والحوار ومن كان قادرًا على مصادرة حرية القرار، لا يجب أن نستسلم، لا يجب أن نخاف، فالروح الانهزامية شرّ مستطير يقود صاحبها بضعف نحو اللاجدوى في الحياة الوطنية الاجتماعية، حتى أنّها لا تترك له مجالًا ليشعر

بحقيقة وجوده وكيانه، ولذلك إن كان لا بدّ من الخوف فخافوا إذًا من الافكار المترددة والانهزامية التي تراودكم لأنّها لن تترككم بسلام...

أما بالنسبة للزواج والعائلة، أترك لكم مدوناتي وكتبي وهي عزيزة كأولادي، بنات أفكاري وقناعاتي، فكرتي طفلتي، هي بحاجة لأن تتبنوها وتربوها لتكبر فتنجح ثمّ تذكركم بي ما حييتم. البشر يختلفون في طبائعهم وطرق تفكيرهم واهتماماتهم، وقد قالتها أختي «إن الناس أجناس». إبقوا دائما على الألفة والمحبة في ما بينكم لأنّه في وحدتكم تتضاعف قوتكم، أمّا الوطن فسوف يبقى أمانة في أعناقكم...

واستغرب «متعصّب» موقف أخيه الأصغر كأنّه شعر به يلقي وصيّته الأخيرة قبل الفراق فعاجله بالسؤال:

- أخي... ما عهدتك هكذا يكاد كلامك يشبه من يترك وصيّة أو من أدرك أنّ ساعة الفراق قد دنت... غريب أمرك!

- لا يا أخي، لا تقلق لكنّني شعرت بضرورة البوح ولا أعلم ما أصابني...

وصافح الجميع ثمّ قـبّـل جبين والده، وانحنى يقبّل يدي والدته وجبينها وخرج فرافقته أخته نحو الباب وهمست في أذنه:

- هل كلّ شيء على ما يرام يا أخي، أنا حقًّا قلقة عليك...

- الأمـور بخير ما دمت أعلم أنّك سليمة معافاة، إهتمّي بالوالدين... أحبك يا أختاه وأشكر الله على وجودك. كنت قد سلّمتك أمانة قبل أيام وستعلمين متى يحين وقت فتح ذاك الظرف وقراءة ما فيه من رسائل، إياك أن تضعفي... إياك أن تخذليني...

- ألن تقول لي ما تحوي تلك الاوراق؟

- قلت لك ستعلمين في الوقت المناسب...

ونظر إلى عينيها... إبتسم وخرج...

خرج ليقود سيارته وحيدًا بعيدًا عن منزله، متّجها ليصطحب ابن عمّه معه في زيارة لأصدقاء الطفولة، فقد أعدّوا لتلك الزيارة منذ أسبوع مضى، وبعد حين هاتفه:

- يا ابن عمي، معًا كتبنا طفولتنا في دفاتر الايام، ومعًا خططنا على الصفحات قصصًا عرفنا فيها الفرح تارةً وطورًا غلبنا الحزن، رأيت فيك الأخ والصديق القريب، الذي إن علم خطئي صحّح مساري فكنت صديقًا في وقت الضيق، أطال الله رفقتنا.

- إنّك ترعبني... لماذا تحدثني هكذا يا ابن عميّ، هل عدلت عن الزيارة، أأصابك مكروه؟

- قطعا لا، أنا في طريقي إليك لكن لا يعلم أحد ما في الغيب، شعرت بقشعريرة باردة تسري في جسدي وأحسست بالحاجة إلى مكالمتك فقط.

- حسنًا، أنا في انتظارك. لا تتأخر!

كان الظلام قد بدأ يفرش ظلاله والسماء اكتأبت غيومها، البدر صحا رماديّ اللون كأن الحياة فيه تفقد بريقها. كان «طَموح» يقود سيّارته متمهلا، وهو شارد الذهن فاستوقفه شخص على قارعة الطريق، بدا أليف نظره غير أنّه تدثّر بثياب سوداء قاتمة فما استطاع تمييز ملامح محيّاه. توقّف قربه وفتح نافذة سيارته ليراه فأيقن أنّه أحد أبناء قريته واسمه «غدّار».

- ما بك تقف وحيدًا في هذه العتمة؟ أتريد أن أقلّك إلى مكان ما؟

- كنت في انتظارك اعتقدت أنّك لن تحضر هذه الليلة؟

- عسى الامر أن يكون خيراً، تفضّل إصعد. دعني أوصلك...

وانطلقا بالسيارة وقد أحسّ «طَموح» أنّ الصمت بينهما قاتل غير أنّ ما كلام «غدّار» كسر حدّة الأجواء وقد علت نبرة صوته كمارد يصبّ جام غضبه فقال:

- يا رجل، من قال لك إنّ قريتنا ومنطقتنا بحاجة للسياسة العادلة؟ من فوّضك حتّى تتكلم بألسنتنا؟ وكيف لك أن تتحدث بهذه الجرأة مواجهًا من هم أعظم قيمة وشأنا؟

- الآن فهمت، لم تعد الأحجية صعبة الإدراك، صار الكابوس واقعًا وحقيقة...

- ما بالي وكوابيسك! أطلب منك العدول عن أفكارك وأسألك العزوف عن السياسة.

- وهل يبيع الإنسان نفسه؟ إنّك تطلب منّي المستحيل! ثق أنني باق على مبادئي. لا تطلب مني الابتعاد عن السياسة، لأنّها صارت طريق التحرر من الزمن المرير وريشة نرسم بها لوحة المصير. أنا إنسان حرّ في بلد الحريات، أنتقد من أشاء وأعارضه وأقول ما أشاء وأفكر في ما يخدم قناعاتي طالما أنّه لن يخدش حياء الأخلاق والآداب العامة ولا يلحق الضرر بالمجتمع والدولة.

- لم آتِ لأناقشك، أنا لا أفقه بالسياسة ولا تعنيني... ما يعنيني هو ما قلته لك من قبل، إنصرف عن السياسة وتوجّه إلى أيّ عمل

آخر، كُفَّ عن انتقاد الزعماء والقادة الكبار، وإلا لن تسرّك النتيجة.

- لن تسرّني الهزيمة. أنت عالم بما أملكه من عزيمة، أتيت تطلب الانسحاب وخيانة الأهل والأحباب، أتيت تطلب منّي الانهزام فما هكذا يكون الكلام وإن كنت في مهمة تمّمها من دون مقدّمات...

فجأة رنّ الهاتف في جيبه، فأخرجه ليكلّم ابن عمّه، هو يريد أن يستعجله فقد شعر أنّه تأخر، وسرعان ما أشهر «غدّار» من جيب سترته سلاحه ووجّهه إلى رأس «طَموح». أمره أن يرمي الهاتف من النافذة وكان وجهه يتصبّب عرقًا ويداه ترتجفان، فما كان من «طَموح»، وبكلّ هدوء، إلا أن رماه، وانحرف عن الطريق ثمّ أوقف سيارته وقال لـه:

- أسامحك على ما ستقوم به، أنت لست سوى أداة قدر أحمق! أتمَّ عملك...

وسُمعت في أعماق الغابة طلقتا مسدس وحلّ صمت غريب... ولّى «غدّار» هاربًا تحت جنح الظلام. أمّا «طَموح»، فلما تفارقْهُ الروح، استطاع أن يزحف خارج سيّارته، لكنّه كان مضرّجًا بالدماء وأراد أن يوصل رسالة، لكن أي رسالة هذه... هو يعلم أنّ أمامه ثواني قليلة، لم يرد ذكر اسم قاتله لأنّ الانتقام لن يولّد إلا الاحقاد والشرّ سيولّد شرًّا. فجمع في يديه حفنة تراب وضمّها إلى صدره وتمتم كلماته الأخيرة: «وطني إروِ عطشك من دمي... قد صرت فيك واحدًا»، فصار الدم مداد حبر خطّ به رسالة أخيرة:

«ما عددت حياتي بأيامي
بل حوار أوراقي وأقلامي
قـناعاتي كتبتها فعشتها
حقيقة تخطّت كلّ أحلامي»

واحتضن صورة أمّه ثمّ لفظ أنفاسه الأخيرة وفارقته الروح.

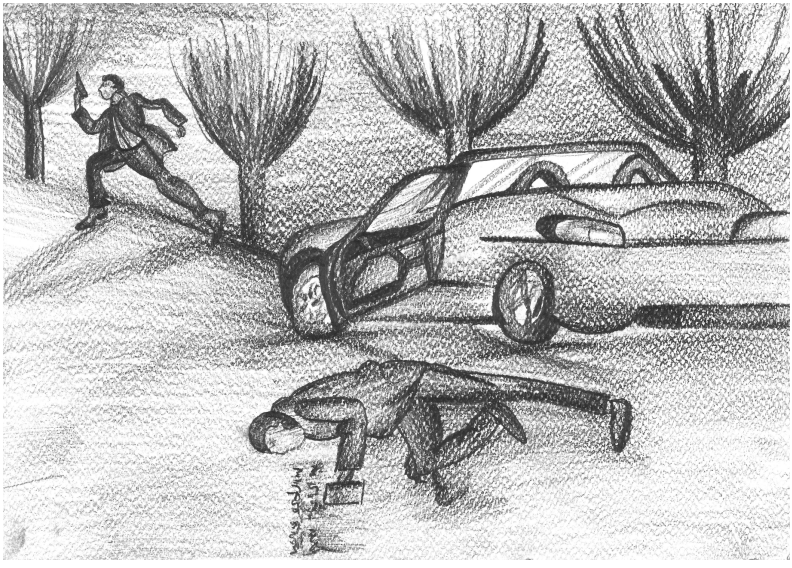

في الصباح تسارع خبر الفاجعة في القرية كالنار في الهشيم وغصّت الأنحاء بالمعزين من كلّ صوب وحدة وسمع عويل النساء وتفجّعهنّ. لم تمضِ ساعات على خبر اغتيال «طَموح» حتى وقفت أخته أمام الجموع الذين أتوا للوداع الأخير، مسحت دموعها عن خديها، وحملت في يديها رسالة رفعتها في الهواء قائلةً:

- دموعي تبكيك يا أخي، أيّ قدر هذا الذي سرقك منّا أمانتك الغالية بين يدي، حتى بعد الموت لا زال الوطن يؤرّق روحك، ألم تفهموا بعد أن الصوت الصارخ في بريّة الحرية لن يسكته الظلام وسيعرف فجر الحرية، إن روح الحق والعزة تحيا خالدة في نفوس من عرفوك يا أخي بذور العدل سوف نحصدها سنابل حرية وستركع الشمس ساجدة أمام توهّج اسمك! ذات يوم علّمتني أن حياة الانسان قصيرة، وإذا لم يحسن استثمارها فإننا سنرى سهام الفشل تنهش صدرها وقيود الجهل تكبّل صوتها قد علّمتني ألا أخاف على نفسي فالنفس فانية والبقاء للوطن، هو هيكل الروح، هو مذبح الآلام، هو الفردوس الضائع لكلّ إنسان... أريد أن أقرأ لكم ما تركه

لنا أمانة لعلّنا نهتدي به فرجاء اسمعوا، كلّكم هنا أصدقاء ورفاق وأحباب، هذه وصيته في حضرة الغياب:

«إن تقرأوا أو تسمعوا هذه الكلمات فإنّي حتمًا قد فارقتكم، يرحل جسدي ويفنى لكن الروح تبقى بينكم ومعكم.

«إلى أهلي...

أرجوكم لا تحزنوا ولا تدمعوا، روحي تحيا حين تراكم متحدين، ألبسوا أجسادكم عباءة الفرح، إفتخروا وارفعوا رؤوسكم، فالهامات الحزينة لن تعرف عظمة الشموخ، قولوا إنّ ابننا عاش حرًا في زمن التبعيّة والرجعية، واجه الإقطاع قدر المستطاع، آمن بالحرية والديمقراطية، رفض الانقسام والطائفية ونادى بالوحدة الوطنية، عاش حكاية عشق مع الوطن وبحث في كل فرد عن الانسان.

«وإلى رفاقي وأصدقائي...

لكل منّا في هذه الدنيا رسالة، لا ترهنوا أرواحكم لزعمائكم، إنّ الزعيم داء قديم وجرحٌ في جسد الوطن الأليم. حياتكم ملكٌ لكم، هي لا تباع ولا تشترى، لا تبقوا أسرى في سجون الرجعية.

إنطلقوا نحو الحرية، إنطلقوا لبناء دولة ديمقراطية، دولة مؤسسات لا مرجعيات، دولة حريات لا عصبيات، وإن كنتم قد ارتضيتم الذلّ لأنفسكم فلا ترتضوه لأولادكم، الحرية إكسير الوجود، مطرقةٌ

تكسر القيود، الوطن يناديكم فلا تبخلوا في تلبية النداء، أنتم الامل الباقي...

«وإلى الزعماء والقادة،

نعلم أنّكم تسيطرون وأمور الشعب تديرون، تريدوننا منقسمين لتبقوا على عروشكم متربعين. لو كنتم خائفين بحق على الوطن تخطّوا أنانيتكم... تخطّوا مصالحكم وكونوا مؤمنين. ألبسوا أولادكم رداء الحريّة والاستقلال من نسيج ما تخيطونه، فنحن لمشعل الحقّ منتظرون...

«وختامًا يا وطني...

يا وطني يا طَموحي ويا حلمي، كنْ أكيدًا أنّه لا بدّ لغيوم الشتاء أن تزول وستولد الدولة فكرًا في العقول وتشرق شمس الحرية في ورود الحقول، ولن تعرف أرضك لا اليباس ولا الذبول...

لا تخف يا وطني... الأبناء سيعلنون جهارًا أنّهم حتمًا متّحدون لأنهم من نار الانقسام يخافون... وهياكل المستقبل سيبنون، وإنّ سواد الحروب الأهلية بالأبيض سيلوّنون...سينجحون وبسفينة الوطن في برّ الأمان سيرسون، إنهم الأمل، إنهم الحلم، إنّهم التغيير الآتي بصخب وجنون.

وستبقى يا وطنُ... الوطن الرسالة، الوطن الحلم... وسنبقى مواطنين.

يغيّب الجسد في التراب مدفونا
والـروح للأوفياء تبقى حنونة
ضجـيج الوطنية يعزف حياةً
ولحن حريّة وإن كان الموت سكونا»

أطلقت كلمات «طَموح» الثورة في النفوس وهتفت الجموع بصوت دوّى صداه في المنطقة: «سنبقى مواطنين... سنبقى مواطنين... سنبقى مواطنين»، وحينها تأكدّت «حرية» أنّ أخاها لم يمت لأنّه لا يمكن لأحدٍ أن يقتل الطّموح...

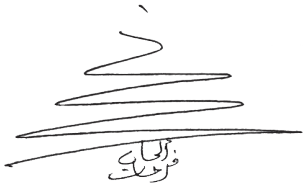

أبطال الرواية وشخصياتها

طَموح: بطل الرواية، مواطن حرّ، مرّ من مرحلة الطفولة إلى الشباب فالعمل والسياسة، لديه أفكار سامية وطنية، يحارب التبعية والرجعية ويناضل فكريًا وثقافيًا لأجل بناء دولة المؤسسات الجامعة الموحدة لكلّ أبنائها على اختلاف انتماءاتهم...

قاسي: والد «طَموح»، رب البيت الذي يؤمن بسلطته المطلقة على أفراد عائلته ويرى أنّ أفكاره مناسبة دائما لمصلحة العائلة، هو متشدد بعض الشيء لكنّه يخاف على عائلته ويسعى دائمًا إلى تماسكها.

حنونة: والدة «طَموح»، ربة المنزل التي تخاف على أولادها كثيرًا وتتمنّى لهم الافضل دائمًا.

حرية: شقيقة «طَموح»، سارت على دربه وآمنت بأفكاره، ودافعت عن قضيته ونضاله. شخصيتها كما اسمها، تمثل التحرّر والاستقلالية من كلّ التبعيات العمياء، هي التي دافعت عن موقفه وقرأت وصيته بعد اغتياله.

متعصب: الأخ البكر في عائلة «طَموح»، مرافق الزعيم، يفديه بدمه وروحه، ولا يرضى أو يقبل بأي نقاش أو انتقاد له.

جبان: هو الأخ الثاني، لا يؤمن بفكرة الوطن ولا يعني له شيئًا بعدما رأى بأنه لا خلاص فيه. قرّر الهجرة والسفر والنجاح في بلد آخر ...

تبعي: هو الأخ الثالث، رهن نفسه وحياته للقائد بحجة أنّه أمّن له الوظيفة والحماية حتى من الدولة نفسها.

قديم وقديمة: جدّ «طَموح» وجدّته.

شجاع: ابن عم «طَموح»، رفيق الطفولة وزميل الدراسة.

مثقف: زميل «طَموح» في الجامعة الذي يثق فيه وقد تأثر بنهجه وفكره.

إلتزام: شاب متعلق كثيراً ببيئته ومجتمعه الضيق الصغير كانت له مواجهة مع «طَموح» في إحدى الحوارات الطلابية في الجامعة ساهمت في تغيير تفكيره وقناعاته.

جميلة: زميلة «طَموح» في الجامعة وحبيبته، لكنها من غير طائفة وهذا ما وقف حاجزاً بينهما.

محترم: والد «جميلة» المنفتح والمتقبل للآخر بغض النظر عن العقائد والاديان.

قدوة: والدة «جميلة».

قوي: شقيق «جميلة»، شاب يهتمّ بالرياضة ولا يكترث للسياسة ولا يهمه ما يجري من حوله.

مهم: مدير «طَموح» في العمل الذي يدعمه ويثق في قدراته.

الزعيم: هو مرجعية سياسية واجتماعية يتمتع بسلطة واسعة ومال وفير. وكانت مقابلة «طَموح» للزعيم الشرارة الأولى التي أوقدت شعلة التحرر والوطنية في عقله.

متعالي: المسؤول عيّنه الزعيم في منصبه، يقصده «طَموح» طلباً للمساعدة إرضاء لوالدته.

وفي: خال «طَموح» المحب والوفي لعائلته، يخاف عليه ويسانده منذ طفولته.

غدّار: قاتل «طَموح»، ابن قريته، أداة القدر التي أنهت حياته.

نبذة عن المؤلّف

ألحان وليد فرحات، لبناني من مواليد نيحا الشوف، 1986/10/21:

- أنهى دراسته المتوسطة في مدرسة راهبات القلبين الأقدسين - جزين، وتابع دراسته الثانوية في ثانوية نيحا الرسمية.

- حائز على إجازتي بكالوريوس من جامعة بيروت العربية بين سنتي 2004 و2009، الأولى بكالوريوس في المالية والعلوم المصرفية، والثانية بكالوريوس في ادارة الأعمال.

- درس العلوم السياسية 2009-2010 في الجامعة اللبنانية، الفرع الثاني - جل الديب.

- حائز على إجازة ماجيستير في علوم ادارة الأعمال من جامعة العلوم والتكنولوجيا في بيروت AUL، عام 2011. مقدمًا أطروحة عن تأثير الهيكلية الداخلية للمصارف في مكافحة جريمة تبييض الأموال.

- يتابع دراساته العليا «الدكتورا» منذ العام 2013 في جامعة فينيكس - أريزونا، الولايات المتحدة الأميركية.

- عمل مصرفيًا في لبنان والاغتراب قبل أن ينتقل للعمل الحر في التجارة والمقاولات.

- ناشط سياسي واجتماعي ومؤسس إئتلاف الشباب اللبناني.

دار سائر المشرق
منشورات ٢٠١٤

Dar Saer Al Mashrek
Publications 2014

رؤية وخريطة طريق	انطوان نجم
انابيب حمراء: لماذا سوريا؟ ولماذا الآن؟	أنطوان مرعب
المقامات الصوفيّة في شعر ربيعة ابي فاضل	ناتالي الخوري غريب
الخواجة (طبعة ثالثة)	محمد طعان
تلّة الملاح	جان هاشم
لبنان الموارنة الى اين؟	الأباتي بولس نعمان
لبنان بين الطوائف (1920-1990)	ارمان عساف
التوافقية وادارة التعددية اللبنانية	مجموعة مؤلّفين
اقتراض الشّعر لا قرضه	هاني فحص
الشيعة بين الاجتماع والدولة	هاني فحص
إيران بين الذاكرة والمشهد	هاني فحص
نيو سدوم... وَحَكَم الشيطانُ الأرض	إيلي صليبي
المواطنة والدّولة المدنيّة في الفكر الإسلاميّ المعاصر	محمد زيدان
القوّات اللبنانيّة، نشأة المقاومة المسيحيّة وتطوّرها	نادر مومني
جمهوريّة خارج الكهف	غسان حاصباني
ميخائيل نعيمه وكمال جنبلاط، شاعران في معراج الصّوفيّة	ناتالي الخوري غريب
للجبل عندنا خمسة فصول	ماري القصيفي
رجلٌ ضدّ الله	سمير زكي
سرُّ المئة عام	شبل عيسى الخوري
توهّج البصيرة بغياب البصر	نضال الأميوني دكاش
زمن الحصار	غسان الديري
براعم خريف	أمين زيدان
عَنَاقِيدُ الفَرَح	جمال دملج
مذكّرات ناسك مجنون	غبريال عطو
بيروت بأقلام الشعراء: صراع القِمّة والهاوية	جان نعوم طنوس
حكاية طَموح	ألحان فرحات
Mondialisation: droit international ou droit mondial?	*Rodrigue Abi Khalil*